HARLEQUIN®

روايات احلام

رجل أقوى من الحب

هيلين بروكس

www.elromancia.com
مرمورية

رجل أقوى من الحب

هيلين بروكس

الرجال لا يجلبون سوى الأحزان وتحطم القلب!... هذا كان شعار كوري التي خَبِرت الألم والتعاسة في الحب، فاعتبرت العمل وحده هو الأمان... ولكن ما هو رأى رئيسها في العمل؟

ـ الحب غير موجود يا كوري كما جعلنا الشعراء نعتقد، إنه لا يعدو أن يكون اسماً لمشاعر أخرى، الحب مجرد غطاء...

كانت صدمة هائلة لكوري... هذا الرجل لا يعرف معنى كلمة حب!

وما كان لهذا أن يهز علاقة العمل بينها وبين رئيسها، لو لم يكن ماكس هانتر يؤمن أن الأقوال يجب أن تقترن دائماً بالأفعال، وهكذا سجنها في قصره حتى يقنعها بوجهة

www.elbarnamej.com

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	الإمارات: ١٠ دراهم	مصر: ٤ جنيه	ليبيا
سوريا: ٧٥ ل.س	قطر: ١٠ دراهم	المغرب: ١٥ درهم	اليمن
الأردن: ١,٥٠ دينار	البحرين: ١ دينار	تونس: ٢ دينار	السودان
الكويت: ٧٥٠ فلس	السعودية: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال	العراق

رجل أقوى من الحب

هيلين بروكس

روايات احلام

www.elromancia.com
مـــرومـــانـــسـيـة

هيلين بروكس

تعيش هيلين بروكس في (نورثامبتون شير) وهي متزوجة وأم لثلاثة أولاد. أوقات فراغها نادرة جداً، فهي متدينة ملتزمة وربة منزل منهمكة وأم مثالية. لكن هواياتها تشمل القراءة والسباحة والاهتمام بالحديقة والسير مع كلابها الصغيرة النشيطة التي تحبها كثيراً. حققت حلمها بالكتابة في سن الأربعين، وأرسلت أول إنتاج لها إلى (ميلز أند بونز).

روايات أحلام

مجلة قصصية أسبوعية تصدر عن شركة دار الفراشة
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.
كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
A boss in a million
First published in Great Britain 1999
Harlequin Mills & Boon Limited

© Helen Brooks 1999
Translation © Dar El-Farasha- 2000

ISBN 9953 - 15 - 001 - x

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/١١ هاتف/فاكس: ٨٤١٤٠٢ - ١ - ٩٦١ - بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟
لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومانسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ما هي نتيجة هذا الاختيار؟
ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

١ ـ رئيس بمليون

ـ لندن؟ آه، كوري! لا تذهبي، ستتحسن أمورك هنا. تحلّي ببعض الصبر.

حدّقت «كوري ماسترز» إلى وجه صديقها. صديقها العزيز الذي عرفته طوال حياته وأحبته، كيف لها أن تخبره بأن الأسباب التي برّرت بها رحيلها عن بيتها في مدينتها الهادئة في إقليم يوركشاير، تلك الأسباب ليست سوى أكاذيب. السبب الحقيقي لذلك هو رغبتها في الابتعاد عنه هو، ڤيڤيان بتلي توماس.

ابتسمت له وهي تنظر إليه بعينيها الخضراوين اللتين لم تظهرا أثراً لما يعتمل في نفسها من غليان:

ـ لقد تم الأمر، يا ڤيڤيان، وأجريت المقابلة منذ أسبوع. ظننت في البداية، عندما رأيت بعض المنافسات أنني لن أفوز بالوظيفة. لكن سكرتيرة السيد هانتر، اتصلت بي هذا الصباح، سأبدأ العمل في غضون أربعة أسابيع. وهكذا يمكنني قضاء عدة أسابيع معها لتطلعني على طبيعة العمل قبل أن تترك العمل للحاق بزوجها في أميركا.

ـ لماذا لم تخبريني أنك تفكرين في أمر كهذا؟

قال ڤيڤيان ذلك والعبوس يسود وجهه الصبياني الوسيم، ثم تابع يقول: «ثم هناك حفلة الزفاف وما يتعلق بها، فكارول تعتمد عليك لمساعدتها في ترتيب الأمور.. فهي لا تحسن التصرف في أمور كهذه. كما أنك إشبينتها».

ـ أعرف هذا.

قالت ذلك وهي تجاهد للاحتفاظ بابتسامتها، كانت تعلم أنها ستكون إشبينة العروس التي جاءت إلى سوق المدينة فأسرت قلب ڤيڤيان من أول نظرة. كارول جايمس الرائعة الجمال ذات الشعر الأشقر الطويل والعينين الزرقاوين والقوام الرشيق والساقين الطويلتين. كانت كذلك لطيفة المعشر كثيرة الضحك، كما أخذت كوري تفكر بأسى، ولكنها لم تكن بالغة الذكاء ولا ماهرة بتنظيم الأمور.

ـ سأبقى إشبينة عروسك كارول، فلا تقلق. وسأنجز ترتيبات العرس قبل أن أرحل، فهذه ليست مشكلة، وسأحضر قبل أيام من الزفاف لأساعد العروس.

ـ ستحتاجك طبعاً.

قال ڤيڤيان هذا بصوت امتزج فيه الضيق باللهفة، وهذا ما أغضب كوري التي تساءلت عن مدى عدم حساسيته هذه. لقد كانا متلازمين على الدوام وذلك منذ روضة الأطفال، وبما أن أسرتيهما متجاورتان، فقد أمضيا كل فترة صباهما وفتوتهما الأولى في منزل الآخر. كما كانا في الجامعة متلازمين أكثر مما كانا مع أقاربهما.

لم يكن هذا يعني أنهما تصارحا بالحب والرغبة في الزواج، ولكنهما لم يحتاجا إلى ذلك، لأنها كانت تعلم أنه رجلها المنتظر، أو هكذا تصورت.. فيا لحماقتها! وتملكتها المرارة وهي تفكر بهذا.

أرغمت نفسها على القول بصوت هادىء:

ـ ڤيڤيان، أعلم أن ليس لدى كارول أسرة، لكن بإمكان أمك أن تقدم لها ما تحتاجه من نصح، لقد سبق أن حجزتم قاعة القرية لإقامة حفلة الزفاف، ولم يعد هناك مشكلة.

ـ لكنها كانت تعتمد على دعمك لها معنوياً...

ـ أنت من عليه أن يدعمها معنوياً، بحق الله.

قالت ذلك بحدة وقد كاد صبرها ينفد. فقد ورثت عن أمها حدة

طباعها.

ـ إذن، سترحلين حقاً

ساد بينهما صمت قصير مشحون بينما كسا التوتر ملامح ڤيڤيان.

ـ نعم، سأرحل.

كان صوتها متوتراً كصوته.. ستسافر غداً لو استطاعت. فقد نالت ما فيه الكفاية في الأشهر الماضية وهي ترى ڤيڤيان وتلك الشقراء الجميلة معاً دائماً، كما كانت حفلة الخطوبة محنة عذبتها بشكل لا تتمناه لألدّ أعدائها. لقد استمرّ ذلك أكثر من ستة أشهر. والغريب أن كارول أصرت على جعلها صديقة حميمة لها.

قال ڤيڤيان: «لم يبق ما يقال إذن. إنما لم لا تتابعين العمل هنا لعدة أشهر أخرى. تقولين إنك تريدين التغيير، تغيير العمل والبيئة حولك، ويمكنني تفهّم شعورك هذا بالنسبة لعمرك، ولكن ستة أشهر أخرى لن تشكّل أي فرق».

كادت تضربه وهو يشير إلى عمرها، فقالت:

ـ ربما في عمري (المتقدم) هذا، لم يعد لدي وقت للتسكع هنا وهناك.

قالت ذلك بحدة بينما كان ڤيڤيان يسير نحو الباب. كانت خطيبته كارول في العشرين من عمرها، تصغرهما، هي وڤيڤيان، بأربع سنوات. وقد أشارت كارول إلى ذلك عدة مرات وفي كل مرة كانت عيناها تتسعان باستغراب حتى ظنت كوري أنها بعمر نوح.

وتابعت تقول: «الأفضل أن أذهب وأستمتع بالحياة قبل أن يفوتني القطار».

قالت ذلك وهي تشعر أنه كان عليها حقاً أن تترك هذه المدينة منذ سنوات.

ارتدّ ڤيڤيان خارجاً، وبعد ثانية أو اثنتين، عندما سمعت صوت الباب الخارجي ينغلق خلفه، أطلقت زفرة حارة وغالبت دموعها رافعة رأسها

عالياً.

لن تبكي.. لا بكاء بعد الآن. لقد ذرفت من الدموع في الأشهر الماضية ما يملأ البحر، وقد تعبت الآن من مشاعر اليأس. ستترك مدينتها «تيرسك» في غضون أربعة أسابيع. ولن تعود إلى بيتها لتقيم هناك حتى إن لم تحصل على وظيفة سكرتيرة رئيس «شركة هانتر» الذائع الصيت.

منذ نعومة أظفارها ارتبطت كل أحلامها وكل طموحاتها بذلك الشخص الوسيم الطويل القامة الذي غادر المنزل الآن فجأة. والآن ستتعلم كيف تواجه الحياة بدونه، وبعد ذلك ستتعلم كيف تخطط لمستقبلها. يكفيها الدموع التي ذرفتها عليه بدون فائدة، فهي ما زالت شابة ذكية، ولا شك أن أمامها الحياة.. بان العزم على ملامحها، لا. لن تفكر بهذا الشكل بعد الآن. قد يكون رائعاً، ولكنه ليس بمتناول يدها. وهذا ينهي القصة.

***

ـ كوري، يسعدني أن أراك مرة أخرى، وأرجو منك أن تناديني باسمي «جيليان».

كان ذلك صباح يوم من أيام شهر نيسان، بعد أربعة أسابيع مما حدث يوم الجمعة السابق. كانت قد استأجرت شقة بسيطة، جميلة. وفي ذلك الصباح دخلت كوري إلى مكاتب «شركة هانتر» وهي تشعر بالخجل والارتباك.. كان المبنى ضخماً مزخرفاً بشكل يدل على الترف.. وهناك استقبلتها ابتسامة جيليان كوكس الحارة التي خففت من الذعر الذي كان يتملكها وهي تواجه سكرتيرة رئيس الشركة في أول يوم لها في وظيفتها الجديدة.

قالت بصوت بدا طبيعياً أثار دهشتها:

ـ مرحباً جيليان، يسعدني أن أراك مرة أخرى أنت أيضاً، كيف حالك؟

ـ أرهقني العمل حتى أصبحت مجنونة تقريباً وعلى شفير الانهيار. وعدا ذلك، فأنا في أحسن حال.

اتسعت ابتسامة جيليان التي جاءت إلى غرفة الاستقبال لترحّب بكوري شخصياً ولتصحبها إلى المصعد وهي تقول:

ـ لا بد أنك متلهفة إلى مقابلة «ماكس». من غير المعتاد أن يقابل الموظف رئيسه قبل أول يوم من تسلمه العمل. أليس كذلك؟

أجابت كوري بصوت ضعيف: «هذا صحيح».

ـ لكنه عاد للتوّ من رحلة إلى الشرق الأوسط كانت حافلة باجتماعات العمل، ولكنها كانت مثمرة للغاية وهذا هو المهم. ستنجحين معه، كوري، فهو رئيس لن تجدي مثله.. إنه رئيس بملبون رئيس. ما كنت لأتركه أبداً لولا حصول زوجي على تلك الوظيفة الرائعة في الولايات المتحدة، خصوصاً بعد أن أمضيت في خدمة ماكس خمسة عشر عاماً. لكن ذهابي إلى زوجي كولين ضروري.

كانت جيليان تتكلم عندما وصل المصعد إلى الطابق العلوي حيث المكتب. انفتح باب المصعد فظهرت الأرض مكسوة بسجاد سميك تبنيّ اللون، وسرعان ما اخترق السكون صوت غاضب لرجل، يقول:

ـ جيليان، بحق الله يا امرأة، أين «الفاكس» الذي وصل من «كاتشوي»؟

انطلقت نظرات كوري إلى الباب القائم في منتصف الممر، حيث كان يقف رجل أسمر ضخم الجسم، لكن عيني ماكس هانتر لم تكونا مصوّبتين إلا إلى سكرتيرته الهادئة الأعصاب التي تقدمت نحوه، بعد أن أشارت إلى كوري بدخول مكتبها الذي كان يواجههما.. تقدمت نحوه قائلة بهدوء:

ـ إنه على مكتبك، ماكس، منذ ثلاثة أيام. لا شك أنك دفنته تحت كومة الأوراق تلك التي كنت تقرأها أثناء العطلة الأسبوعية.

توارت جيليان لثانية أو اثنتين قبل أن ترغم كوري نفسها على دخول مكتب المرأة الأخرى الذي سرعان ما سيصبح مكتبها هي إذا نجحت بالاستقرار في هذه الوظيفة، ولكن بعدما رأت ماكس هانتر شكت بذلك.

هذا الرجل ضخم الجسم، عريض الكتفين. ولكنه ليس كبيراً

بالسن. . وقد أخبرتها جيلين أن والد ماكس، مؤسس «شركة هانتر» مات منذ خمسة عشر عاماً تاركاً إرثه هذا لابنه الذي كان يبلغ من العمر وقتذاك ثلاثة وعشرين عاماً. لكن وجهه الصارم الملامح وشعره الأسود الذي خطه الشيب، أظهره أكبر سناً. سحبت كوري نفساً عميقاً وغارت في أحد المقاعد الوثيرة المنتشرة في مكتب جيليان الفسيح. . سلوكه هذا لا ينطبق على أنه رئيس بمليون رئيس.

ـ عاد كل شيء إلى الهدوء كما كان.

قالت جيليان هذا وهي تدخل إلى مكتبها من خلال الباب الموصل بين مكتبها ومكتب ماكس هانتر، ثم تابعت تقول: «كان السيد «كاتشوي» منتظراً في الطرف الآخر من التليفون. . هو يكره كل ما هو غير منضبط مئة بالمئة».

أومأت كوري بصمت. لقد فهمت ذلك بنفسها. أخذت تسوّي بذلتها الأنيقة الكحلية اللون الباهظة الثمن، ثم تنحنحت، عندما مالت جيليان إلى الأمام وقالت بسرعة:

ـ لا تهتمي بمظهر ماكس ولا سلوكه، يا كوري. فهو رجل رائع حقاً رغم كل هذا، لقد كنا دوماً منسجمين معاً.

ـ أحقاً؟

كانت كوري بحاجة ماسة للشعور بالاطمئنان.

ـ إنه يعرف بكل تأكيد ما يريد وما لا يريد، كما أنه لا يحب أن يخدعه أحد.

ضحكت، فتجاوبت معها كوري بابتسامة باهتة. وتابعت جيليان:

ـ كما أن لديه وجهة نظر صارمة بالنسبة للآخرين.

رأت كوري أن الأمر قد ازداد سوءاً، أما جيليان فتابعت قائلة:

ـ قابلت باسمه عشر فتيات تقدّمن لهذه الوظيفة، فكنت أنت الوحيدة التي وافقت صفاتها ما يريد. بعضهن كن بالغات الفضول، وبعضهن فاقدات لذلك. وبعضهن حوامل ينتظرن الولادة ويسألن عن إجازات

الأمومة وهذا يصيب ماكس بالجنون. كما أنه لا يريد تلك التي تنشغل بزينتها على الدوام أو التي تسمّر عينيها على ساعة الجدار، وهو يريد الفطنة والحذر الدائم.

وأشرق وجهها بالابتسام.

فقالت كوري بحذر:

ـ حسناً، لقد حدثتني عما يكرهه، ربما ينبغي أن أعلم ما يحبه أيضاً.

وإذا بصوت عميق هادئ يقول:

ـ بالإضافة إلى التعليم الجامعي، هناك العقل، الاتزان، التربية الحسنة، و. . .

ـ ماذا؟

كان عليها أن ترغم نفسها على قول شيء. إن شخصية هذا الرجل عن قرب مدمّرة. . لكنها لم تجرؤ على إظهار مدى تأثيره فيها. صحيح أن ملامح وجهه صارمة، كما سبق أن رأتها، لكنها كانت أكثر من ذلك بكثير، فالرجولة تتجلى فيها، ببشرته السمراء، وأنفه وفمه القوي. لكن عينيه هما اللتان كانتا تشعان جمالاً بلونهما الذهبي وأهدابهما الكثيفة السوداء. لم تر في حياتها قط مثل عيني هذا الرجل، فإن لهما تأثير يصيب الناظر بالشلل.

أكمل باختصار: «والجمال».

وفي اللحظة التي اقترب منها باسماً، رأت عينيه ترسلان شعاعهما الذهبي ليغمرها إلى أخمص قدميها.

تمالكت نفسها بسرعة، وقفزت واقفة تمدّ يدها إلى حيث ابتلعتها يده الضخمة، لكنها جعلت قبضتها قوية ثابتة رغم ابتسامتها المرتجفة نوعاً ما. . أدركت أنه كان يمزح وهو يذكر الجمال. فجيليان بالغة الأناقة لا عيب فيها، ولكن مهما كان مقدار تقديره لها لا يمكن أن يقول إن وجهها الذي ينضح بمشاعر الأمومة هو وجه جميل.

ـ إذن، فأنت نموذج الكمال الذي كانت جيليان مستمتعة بالبحث

www.elromancia.com

عنه.

قال ذلك مفكراً وقد بدت في صوته لكنة لم تستطع تمييزها.

قالت وهي تجذب يدها من يده:

ـ أنا «كوري ماسترز» يشرفني التعرف إليك.

ـ وأنا كذلك، والاسم هو ماكس بالمناسبة.

ماكس، ما الذي يجعل بينهما كل هذه الإلفة حتى يسمح لها بأن تدعوه باسمه الأول؟

تابع يقول: «إنه مختصر اسم «ماكسيميليان». دعاني أبي باسم النجم السينمائي المفضل لديه «ماكسيميليان الروبوت»، في فيلم «الثقب الأسود». كان أبي يقول ذلك للناس، ولكنه، سراً، كان يعترف بأنه دعاني باسم الأمبراطور الروماني ماكسيميليان الأول، وهو يعني، باللاتينية، الأعظم».

قال ذلك وهو ينظر إليها متكاسلاً لاوي الشفتين.

قالت كوري بينها وبين نفسها أن الاسم يناسبه كثيراً.. فهو أعظم شخصية عرفتها في حياتها، وها هي ذي تلتزم بالعمل مع هذا الرجل سكرتيرة ومساعدة شخصية. لا بد أنها مجنونة.

قال بهدوء: «فهمت من جيليان أن عملك الأساسي في الأسبوعين القادمين هو الملاحظة والاستيعاب. وفي الشهر الذي يتلوه ستقومين بالمساعدة، أملاً في أن تنفردي بالعمل في الأسبوع الأخير. القي ما تريدين من أسئلة، فكري، نقّبي، اتصلي بجيليان في منتصف الليل لو شعرت بحاجة إلى معرفة شيء، ولكن لا تزعجيني. فأنا لا أعرف طبيعة العمل في مكتبي هذا، ولا أريد أن أعرف. فلهذا أدفع للسكرتيرة أجراً.. أتوقع أن تكوني قادرة على إحضار ما أريده حالما أطلبه، وأنا لا أقبل عذراً أبداً، هل هذا واضح؟»

ـ تماماً، أرى أنك تتوقع من سكرتيرتك أن تكون على معرفة بكل ما هو على مكتبك، وكأنه مكتبها.

قالت ذلك بصوت رقيق عذب. وقبل أن يتكلم مرة أخرى، استطاعت أن تحسّ بذكائه الحاد يحاول تقويمها بالضبط.

ـ تماماً.

قال ذلك بعدم اهتمام واضح. ولكن، مرة أخرى، ضاقت عيناه قليلاً فأدركت أن تلميحها الساخر تبدأ معه عملها بهذا الشكل الخاطىء. لقد كانت عدوة نفسها حقاً. طالما قال أبوها هذا، معلقاً على مزاج أمها الناري المتقلب.

قالت جيليان بصوت طبيعي:

ـ حسناً، دعينا أولاً نعرّفك إلى كل الشركات المنطوية تحت لواء «شركة هانتر». ثمة عطل في ذلك الجهاز على المكتب هناك، بكل ما يحويه من أرقام أكثرها سرّية. كنت أقوم أيضاً بوضع تلخيص أولي لأشخاص رئيسيين ضمن «شركة هانتر» أو خارجها، ممّن يحتمل أن يتعامل معهم، بما في ذلك خلفياتهم، علاقاتهم، مشاكلهم، وهل العلاقة معهم سهلة أم صعبة، وما إلى ذلك، مما يساعدك في عملك نوعاً ما. هل لك أن تحرقي تلك الأوراق بعد أن تحفظي ما تحتويه عن ظهر قلب، فنصفها، على الأقل، قد يجعلني عرضة لدعوى قذف أو تشهير إذا ما اطّلعوا عليها.

ـ شكراً.

لقد خففت عنها ابتسامة تلك المرأة وجعلتها تشعر بالتحسن، رغم أن يديها كانتا ترتجفان وهي تجلس على المقعد الذي أشارت جيليان إليه، وهي تفكر، عابسة، في أن ماكس هانتر لا شك يهنئ نفسه الآن على وضع شرط فترة الاختبار في عقد العمل.. وهي لا تلومه على ذلك. لكنها ستحرص عندما يقرر عدم الاحتفاظ بها موظفة عنده، ألا يطردها بسبب أداء سيء أو عدم إخلاص في العمل.

كانت كوري غارقة بالتفكير في ماكس هانتر وما يقذفه به منافسوه على

الدوام، عندما سمعت أزيز التليفون الداخلي على مكتب جيليان. التي أجابت: «نعم، ماكس؟».

مضت لحظة صمت ثم تابعت تقول: «آه، نعم. كل شيء حسن، أنا أراجع فقط... ماذا؟ كوري».

رفعت كوري رأسها مستفهمة لأنها رأتها تلتفت إليها متأملة، ثم تقول: «يسأل ماكس إن كنت غير مشغولة على الغداء. فهو يدعونا لتناول الغداء في «مطعم مونتغومري»؟

لم يكن الاسم يعني شيئاً لكوري، إذ لم يمض على وجودها في لندن أكثر من أسبوع. ولكن لهجة جيليان دلت على أنه مطعم فاخر لا مطعم للوجبات السريعة. فقالت بفتور: «نعم، بكل سرور».

وعندما أخبرت جيليان بالموافقة، سألتها كوري: «ما هو «مونتغومري» بالضبط، يا جيليان؟»

أجابت هذه بحذر:

- إنه مطعم.. مطعم ممتاز للغاية.. ذهبت إليه مرة أو اثنتين، والطعام فيه ألذ ما يكون.

حاولت أن تظهر عدم الاهتمام، ولكن الرسالة كانت واضحة، فغار قلب كوري بين ضلوعها، فلا شك أن أمثال ماكس هانتر يصحبون سكرتيراتهم إلى مثل تلك الأماكن على الدوام، ولكنها لا تملك خبرة جيليان. كل ما كانت ترجوه هو ألا تخذل أحداً، فقد يكون نوعاً من الاختبار.

أمضت فترة الصباح تحاول استيعاب الأمور، وقبيل الثانية عشرة، دخلت إلى غرفة المعاطف تصلح من زينتها قبل الغداء.

- ما الذي تفعلينه هنا، كوري؟

قالت ذلك تخاطب الفتاة التي تنظر إليها من داخل المرآة بعينين متسعتين. طراز الشعر الأنيق المحتشم، وزينة الوجه المعتدلة... البذلة

الغالية الثمن والحذاء المصنوع من الجلد الإيطالي... كل هذا لم يكن يمثل شخصيتها الحقيقية.. من تراها تحاول خداعه؟ لن تتابع السير في هذا السبيل.. أبداً. ما كان لها قط أن تتقدم لمثل هذه الوظيفة..

أثناء المقابلة الابتدائية في شباط الماضي، كانت في منتهى الهدوء والاتزان. ذلك أن التعاسة والألم لخطبة ڤيڤيان قبل ذلك بيومين، قد خدرا حواسها وساعداها على اجتياز محنة أسئلة جيليان الكثيرة واختبارها العملي لها. حينذاك كانت تشعر بأن الأسوأ قد حدث لها، فما الذي تخافه؟ وماذا يعني النجاح أو الفشل في الحصول على هذه الوظيفة بالمقارنة مع زواج ڤيڤيان بفتاة أخرى؟ لقد استمر هذا الشعور في نفسها حتى... حتى ماذا؟ التاسعة من هذا الصباح، حين وقعت عيناها على عينين ذهبيتين داكنتين قاتمتين في أكثر الوجوه التي رأتها في حياتها برودة وهدوءاً... ووسامة أيضاً.

ابتلعت ريقها متوترة، شاعرة براحتيها تعرقان. إهدإي يا فتاة.. إهدأي.

عليها أن تتابع مسيرتها. تابعت التحديق في المرآة وهي تعض شفتها السفلى. وما لبثت أن أسرعت تصلح من زينتها وترش قطرات من العطر على بشرتها. إن لديها مكاناً تنام فيه الآن، ومع أنه عبارة عن غرفة واسعة في منزل قديم، إلا أنها كانت تكلفها كثيراً.. إنها بحاجة إلى كل بنس من أجرها الذي تسلمته عن ستة أسابيع من العمل متدربة. لكن جيليان أبلغتها أن أجرها سيزداد مئة بالمئة عندما يصبح عقد العمل دائماً، وهذا يمثل مبلغاً محترماً.. ومحترماً جداً، كان يمكنها طبعاً أن تحصل على شقة أرخص. لكنها عشقت ذلك المنزل القديم الطراز الذي يمثل روعة الماضي، وكانت غرفتها على السطح تطل على سطوح المنازل، والسماء الفسيحة الخالية من الأضواء ما جعلها تبدو واحة هادئة في وسط ضجيج لندن وازدحامها.

ـ كوري؟

ذكرها صوت جيليان من الخارج بأن الوقت حان للذهاب، تنفست بشدة، ثم سوّت من ثيابها قبل أن تخرج.

كانت المرأتان انتهتا من ارتداء معطفيهما عندما فُتح باب مكتب ماكس وتقدم نحوهما متكاسلاً وهو يشير إلى باب الخروج دون مقدمات أو مجاملة مهذبة، تكسو ملامحه البرودة والغموض، وفي هذه اللحظة تصاعد رنين جرس تليفون جيليان.

ـ دعيه.

كان هذا أمراً، فأومأت جيليان برأسها، لكنها ما لبثت أن سمعت صوت رجل يقول من جهاز التسجيل في التليفون:

ـ جيليان.. جيليان.. إذا كنت موجودة، فارفعي السماعة يا حبيبتي، الأمر مستعجل.

ـ إنه زوجي كولين.

وأسرعت جيليان إلى التليفون متمتمة: «آسفة»، بينما اتكأ ماكس على جدار الممر الخارجي بتكاسل وهو ينظر إلى كوري بشكل مفاجئ سمّرها في أرضها. بادلته النظر محاولة تهدئة أعصابها.

سألها: «كيف وجدت أول صباح لك هنا؟»

ـ كان جيداً.

أجابت بذلك آملة أن يعزو سبب توهج وجنتيها إلى التدفئة المركزية. هذا غباء.. غباء.. حدّثت نفسها بذلك غاضبة وفتشت في ذهنها عن شيء تقوله، كان مفروضاً فيها العمل مع هذا الرجل من التاسعة حتى الخامسة.. أو السادسة أو السابعة، كما يتطلب العمل، خمسة أيام في الأسبوع. ولكن، إذا استمر حالها بهذا الشكل، فهي لن تستطيع إكمال اليوم، فكيف بالأسبوع؟

قال ببطء، وبشيء من السخرية:

ـ (جيداً)؟ هل لك أن تشرحي جوابك الغامض هذا؟.

لا... إنها لا تريد ذلك، كما أن أسلوبه المتعجرف لم يعجبها. لكنها ما لبثت أن قالت:

ـ من الحماقة أن أغامر بإبداء الرأي بعد ثلاث ساعات فقط. ألا تظن ذلك؟ لكن جيليان كانت بمنتهى الرقة والتعاون معي.

ـ من المستحيل أن تتصرف جيليان بغير هذا الشكل، إنها سكرتيرة بمليون..

قال ذلك بصوت يفيض صدقاً وحرارة لأول مرة.

ـ هذا ما قالته بالضبط عن..

وسكتت كوري فجأة، فلم تكن واثقة أن جيليان سترضى أن تكرر أمامه ما قالته.. أضف إلى هذا أن الرجل يكفيه ما يشعر به من عجرفة وغرور، ولكن ماكس لم يسكت عن الأمر. فسألها بلطف:

ـ عن ماذا؟

فلم تستطع إلا أن تقول:

ـ عنك، قالت إنك رئيس بمليون رئيس.

ـ وأنت تشككين في ذلك طبعاً.

في لهجته نبرة ضاحكة. أخذت تحدق إليه بعينيها الخضراوين الواسعتين، وقد انفرجت شفتاها المكتنزتان وكأنها تبحث عن جواب.

بدا ماكس مستمتعاً بهذا الموقف. وأخيراً قال بصوت بدا فيه الرضا، وهو يرفع حاجبيه ساخراً:

ـ هل هذا صحيح أم لا؟

كان مختلفاً تماماً عن رئيسها السابق! وعادت بها الأفكار إلى السيد ستانلي ذي الجسم المنمنم ومشيته المتبخترة المتمسك بالآداب والرسميات الذي يستحيل أن يتبادل مع سكرتيرته مثل هذا الحديث الدائر الآن بينها وبين رئيسها هذا. مع أنها لم تصبح بعد سكرتيرة ماكس وقد لا يكون في نيته أن يجعلها كذلك. وربما لن تقبل هي بالبقاء.. إلا أنها توافق جيليان على أنه رئيس بمليون رئيس ولكن في أيّ شيء هو رئيس

بالمليون؟ هذا ما لا تتفق مع سكرتيرته بشأنه.. لوت شفتيها ساخرة وجعلتها هذه الفكرة تقول بعذوبة تبطن السخرية:

- واثقة أن جيليان على صواب تماماً عندما تقول إنك رجل فريد لا مثيل لك، سيد هانتر.

- ناديني ماكس. سبق أن تلقيت في الماضي إهانات بشكل أقل كياسة. هل عملك جيد بقدر حبك للمبارزة، كوري؟

لن تتمكن من الانتصار في الحرب الكلامية مع هذا الرجل. للمرة الثانية تجد كوري فمها مفتوحاً فأقفلته بسرعة ثم قالت بمرح:

- بل أحسن.

كانت تعلم أنها لن تحصل على هذه الوظيفة.

قال وهو يستقيم في وقفته: «إذن، سننسجم تماماً».

وعندما التفت ينظر إلى جيليان التي كانت مقبلة نحوهما، لاحظت كوري أثر جرح قديم على جانب رقبته. كان طويلاً ناتئاً، يبدأ من فوق أذنه ثم يمتد إلى ما تحت ياقة قميصه، محدّثاً عن حادث وحشي تعرّض له.. كان لون أثر الجرح فضياً ما يجعله مختلفاً عن لون بشرته السمراء.. بقيت عينا كوري مسمرتين على هذا الأثر ثانية أو اثنتين، إلى أن حوّلت نظراتها عندما عاد يلتفت إليها. ولكنه ترك في نفسها تأثيراً قوياً. ما الذي حدث له يا ترى؟

كانت جيليان تقول: «آسفة لأنني تركتكما تنتظران. إنه زوجي. وهو ليس بحالة جيدة».

أمسك ماكس بذراعها ودخل الثلاثة إلى المصعد. ثم سألها بصوت بالغ الرقة: ماذا حدث؟

أجابت جيليان وهي تتنفس بعمق:

- آه، لا شيء مهم، في الواقع، إنه نوع من التسمم الغذائي كما يظنون. يقول زوجي إنه غير خطير.

- لكنك تفتقدينه، كما يفتقدك هو، دون شك.

أومأت جيليان ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة ونظرت إلى كوري:

- شيء محزن، أليس كذلك؟ لكن الأسابيع الثمانية الأخيرة هي المرة الأولى التي افترقنا فيها عن بعضنا منذ حياتنا الزوجية، وهي تبدو غريبة للغاية. لكن كولين وجد، على الأقل، شقة رائعة هناك وسيكون كل شيء جاهزاً عند وصولي بعد ستة أسابيع.

ستة أسابيع... ستة أسابيع! إذا كانت ما تزال هنا، فستكون وحدها مع ماكس هانتر دون جيليان لتخفف عنها. تعثرت قدم كوري وهي تتبع جيليان إلى المصعد. وسرعان ما كانت يد ثابتة تمسك بمرفقها، وماكس يقول:

- حذار! لا نريد أن تكسري رقبتك في أول يوم لك هنا، خصوصاً في هذا المبنى، فأنا لا أحب أن ترفعي عليّ قضية عطل وضرر.

- من غير الممكن أن أرفع عليك دعوى لخطأ صدر عني.

أجابت كوري بذلك بحرارة وكأن الاتهام وقع حقاً.

- «لا؟» كان سؤاله هذا ساخراً وكذلك التواء فمه.

نظرت إليه والحزم يبدو في شفتيها وهي تقول:

- لا. أمر كهذا هو غير أخلاقي على الإطلاق.

لم ينتبه الاثنان إلى المتفرجة التي كانت تتابع التمثيلية القائمة أمامها، باهتمام.

قال ببطء وتفكير: «غير أخلاقي...».

سرعان ما انتبهت كوري إلى ما قد تتضمنه جملتها هذه من معانٍ أخرى، ولكن وقت التراجع عنها قد فات.

سألها بهدوء: «وأنت دوماً... فتاة خلوق، يا كوري؟»

- دوماً.

لن يستقيم الأمر بها هنا. من المؤكد أنها لن تحصل على هذه الوظيفة. فهي لسبب ما لم تعجبه وثمة عداء خفي في كل كلمة تصدر عنه

وكل نظرة ينظر بها إليها.. فمع جيليان يبدو رقيقاً هادئاً متفهماً، أما معها فيعاملها كأنه يريد أن يوقع بها. وتَرتها هذه الأفكار.. إنه بارد، صلب، فظ للغاية، فيه كل الميزات التي تكرهها في جنس الرجال. وهي لم تنتقل إلى لندن لتمضي أيامها في حالة من التوتر والضغط النفسي.

ـ إذن، كان اختيار جيليان صائباً.

لم تكن تتوقع كوري جواباً كهذا. وعندما توقف المصعد بهم وخرجوا منه إلى ردهة الاستقبال شعرت بالراحة.

ـ الآن، هيا نتناول غداءً نستريح أثناءه قليلاً.

بدا صوته فجأة هادئاً نائياً، ومختلفاً. كان يسير معها ومع جيليان بين الابتسامات والإيماءات المتوددة الموجهة إليه. كان هادئاً نائياً واثقاً من نفسه وقد عاد مرة أخرى أحد ملوك المال يسير بخطوات واسعة وسط السكون الغامر ثم يخرج من خلال الباب الزجاجي الذي تسابق موظفو مكتب الاستقبال إلى فتحه له.

وفي الخارج، كانت تنتظرهم سيارة رولز رويس زرقاء فضية. وعندما سار ماكس معهما نحوها، ساور كوري إحساس بأنها تشترك بتمثيلية، سيقفز المخرج إلى الأمام في أية لحظة صارخاً: «قف، هذا يكفي».

فتح السائق باب المقعد الخلفي حالما وقعت نظراته على ماكس، وعندما تبعت كوري جيليان إلى السيارة الفارهة، تمنت لو كانت تنورتها أوسع مما هي عليه.

لم تستطع كوري أن تتذكر كم من الوقت مرّ بهم قبل أن يصلوا إلى المطعم، كانت كل ذرة في كيانها مركزة على وجوب عدم خداع النفس.. ولكن لا بد أن تصرفاتها كانت طبيعية هادئة، فوجه جيليان المستدير الطيب سادته البشاشة والراحة. عندما توقفت بهما السيارة أمام مبنى فخم قال:

ـ أرحب بأحدث عضو في «شركة هانتر».

ـ لا أتذكر أنك فعلت مثل هذا لأجلي عندما جئت للعمل معك،

ماكس.

كان هذا قول جيليان.

منحها ابتسامة مشرقة: «في ذلك الحين، لم أكن أعرف كيف أعامل السكرتيرة، جيليان، لكنني تعلمت ذلك مع مرور الأيام».

شعرت كوري بالحسد للإلفة القائمة بين تلك المرأة ورئيسها. جيليان تكبر ماكس بسنوات، وهي بالتأكيد سعيدة بحياتها الزوجية. وهي إلى ذلك تعرفه منذ سنوات.. لكن كوري كانت جديدة تماماً، ولن يكون بإمكانها على الإطلاق أن تتصرف بهذه العاطفة الزاخرة بالأمومة التي هي الأساس في العلاقة الجيدة بين الرئيس والسكرتيرة. فهذا الرجل يخيفها حتى الموت. ما هذا الذي تفكر فيه؟

أخافتها هذه الفكرة والغريب أنها لم تعتد الخوف من رجل.. حتى من ناظر مدرستها الذي كان يبعث الرجفة في كل القلوب إلا في قلبها.. إنها لا تخاف ماكس هانتر..

ـ كوري؟ ماذا جرى لك؟

أخرجها صوت جيليان الرقيق من أفكارها العاصفة، فلم يكن الوقوف وسط زحام الرصيف يناسب سكرتيرة شابة تنضح بالحيوية!

ـ هل ندخل؟

قال ماكس لهما ذلك مشيراً إلى المبنى أمامهما. ورأته كوري يمسك بالباب وقد بدا على وجهه الصبر البالغ، لكن ما أزعجها هو النظر في عينيه الذهبيتين الآسرتين.

ثم ابتسم وهو يطرف بعينيه، وعندما نظر إليها مرة أخرى، كان قد عاد ذلك الرجل الآسر غير العادي، الرجل الذي تنظر إليه أية امرأة مرتين، الرجل الذكي ذا الشخصية الطاغية، ولكنه رغم ذلك، يبقى مجرد رجل. جلسوا إلى مائدة منعزلة بحيث يمكنهم أن يروا ولا يراهم أحد، وكانت كوري تشعر بالراحة التامة وهذا ما جعلها تستمتع بالطعام، فمنذ جلسوا، أصبح ماكس غاية في الظرف، وأخذ يسلي المرأتين بقصص مسلية ماكرة،

وعندما أنهت كوري آخر لقمة من طعامها، تملكتها حالة من الراحة والشعور بأمان زائف.

وعندما ذهبت جيليان إلى استراحة السيدات، التفت ماكس إليها قائلاً وهو يرفع حاجبيه: «حسناً، كوري؟ ألم تقرري بعد ما إذا كنت ستبقين هنا، أم ستهربين؟»

ـ ماذا؟

وسرعان ما انتبهت إلى أن صوتها كان مرتفعاً أكثر مما يجب.. إنها بحاجة إلى الظهور بمظهر المرأة الهادئة المنضبطة التصرفات.

كان مستريحاً في جلسته، يستند إلى الخلف ناظراً إليها متفحصاً. إنه من الرجال الذين يدخلون الرهبة إلى النفوس وإن لم يتعمدوا ذلك. وضخامة جسمه جزء من المشكلة. وهو إلى ذلك بالغ الرجولة والحيوية، أعماله وتصرفاته منضبطة مدروسة، وتحيط به هالة من السلطة، ولكن ليس بشكل يدعو إلى الراحة أو الاطمئنان، أو لعلها لم تشعر بذلك، على الأقل.

«تمالكي نفسك، يا فتاة، بحق الله عليك..!» وجهت هذا التوبيخ إلى نفسها غاضبة. ثم أرغمت نفسها على سحب عدة أنفاس عميقة صامتة، قبل أن تقول باسمة بصوت اجتهدت أن يبدو هادئاً: «أنا حقاً لا أدري ما الذي تتحدث عنه، ماكس».

ها قد لفظت اسمه الأول دون تردد وبلهجة شابها شيء من السخرية.

ـ أحقاً؟ أتعنين أنك لم تفكري في ما إذا كنت آتية للعمل غداً، أم غير آتية؟

ـ لا، لم أفكر في ذلك.

وكان هذا صحيحاً. ولكنها خشيت أن ينهي هو العمل بينهما، فليس بنيتها أبداً ترك العمل مهما كان السبب، وهي لم تتعود الهرب.

قالت: «لقد وافقت على الدخول في فترة التدريب لأرى إن كانت الأمور تستقيم، وسأفي بعهدي هذا، مهما كان الأمر. ولكن قد تقرر أنت

أنني غير مناسبة، فالعقد يذكر الجانبين».

قال برقة: «عرفت بعد خمس دقائق على رؤيتي لك، ما إذا كنت مناسبة أم لا. في دنيا الأعمال عليك أن تقرري مصداقية الشخص بسرعة».

رفعت حاجبيها غير موافقة، راجية ألا يدرك أنها تمثل دوراً! لقد أثار قوله هذا الغثيان في نفسها.

قالت: «القرارات المستعجلة؟»

قال بشيء من السخرية: لا، إنه تقويم علمتني إياه سنوات الخبرة وأنا لا أقترف أخطاء أبداً، كوري، أعني لم أعد أرتكب أخطاء.

ـ آه، لقد اعتدت أن تكون كأي واحد منا، إذن؟ مجرد بشر؟

تملكها الذعر حالما انطلقت هذه الكلمات من فمها، فكيف تكلم مخدومها بهذا الشكل؟ خصوصاً وهي تريد البقاء في خدمته؟ لو كان كلامها هذا موجهاً للسيد ستانلي، مخدومها السابق، لأصيب بنوبة قلبية على الفور. لكن ماكس هانتر لم يكن السيد ستانلي.

قال وقد ضاقت عيناه وبانت فيهما التسلية، وهذا يدل على أنه لاحظ ارتباكها:

ـ أرأيت؟ أفضل أن تعملي معي أنت على أي سكرتيرة أخرى. هذا إلى أنك، بصفتك سكرتيرتي ومساعدتي الشخصية ستعملين معي طوال الوقت وساعات إضافية غالباً. وأنا لا أحتمل تلك التي لا تستطيع أن تفصح عن أفكارها وطريقة تفكيرها. كما أنني لا أحب المرأة المملة، كوري. بإمكاني الصفح عن أي شيء إذا كان الشخص صادقاً ينصرف من قلبه. لا أحب الخداع ولا النفاق ولا اعتبار أن (الرئيس دوماً على حق) وليس عليك أن تميلي إليّ، فلا تشغلي بالك من هذه الناحية. لكنك لا تميلين إليّ، أليس كذلك؟

لم يكن هذا سؤالاً، بل تقرير واقع. ولم تكن كوري قادرة على الجواب. وعندما رأى النظرة التي بدت في عينيها انفجر ضاحكاً. ثم قال بلطف:

ـ لا تهتمي بما أقول وسواء صدقت أم لم تصدقي، أنا أرى في ذلك إحدى مزاياك التي تستحق الإعجاب، فمن بين أسباب نجاح جيليان كل تلك السنوات هو أنها كانت تحب زوجها حتى العبادة. ولهذا كانت علاقتنا مجرد علاقة... عمل.

كان يخبرها ضمناً أنه لا يريد منها أن تعجب به! ولم تعرف كوري ما إذا كان عليها أن تشعر بالراحة أو بالغضب. لكنها مالت إلى الشعور الأخير، وفكرت غاضبة، يا له من مغرور! ويا لغروره هذا البالغ السخافة!

ـ إن للثراء والسلطة تأثيراً قوياً في بعض النساء. ولكن هذا التأثير مزعج وخطر على صعيد العمل.. ستطلعين كونك سكرتيرتي على بعض الأوراق البالغة السرية.

لم يحدث قط أن سيطر عليها مثل هذا الغضب:

ـ سيد هانتر. لا أحلم بالتصرف بالطريقة التي تصفها تماماً كما لا أحلم بالطيران إلى القمر، هذا إن ظننتك أحسن رجل في العالم.

قال بلطف وعيناه تتألقان: وهذا ما لا تظنينه.

فقالت وما زالت غاضبة غضباً شديداً:

ـ هذا صحيح، لا أظنك كذلك...

ـ أرأيت؟ هذا أحسن حلّ لكلينا. أنا أحصل على سكرتيرة يمكنني الوثوق بها. فأنت بناء على تعريف السيد ستانلي سكرتيرة لا تخلط العمل بالمشاعر.. في عملك هذا سيرتفع شأن مهنتك إذ عليك أن تسافري أحياناً، وتري أماكن جديدة وكل ذلك مدفوع أجره، أضيفي إلى هذا مرتّباً مغرياً. هذا مثالي، أليس كذلك؟ وطبعاً، ستكونين بعيدة عن مدينتك الصغيرة وسحرها. لماذا بالضبط قررت ترك إقليم يوركشاير مادمت سعيدة هناك؟.

حدقت إليه لحظة، ثم أرغمت نفسها على القول بهدوء:

ـ أدركت أنه حان لي أن أفرد جناحي.. مؤهلاتي ممتازة، وبما أنني بلغت الرابعة والعشرين شعرت أن عليّ التقدم مهنياً.

قاطعها قائلاً: «لم أسألك عما كتبته في طلب العمل. بل عنيت السبب الحقيقي. هل السبب رجل؟»

لم تنتبه كوري إلى سحابة الألم التي مرت بملامحها قبل أن يتملكها الغضب، لكن عينيها قدحتا شرراً وانتصبت في جلستها:

ـ عليّ أن أوضح أمراً، وهو أنني لا أحب أن أتحدث عن أموري الخاصة مع أحد إلا إذا رغبت في ذلك. فإذا كنت تريد أن تقدم لي هذه الوظيفة بشكل دائم، فسيكون لك الحق في أيامي التي أعمل فيها وسيكون علي أن أقدم لك و «لشركة هانتر»، أفضل ما يمكنني عمله. ولكن لن يكون لك الحق بامتلاكي فحياتي الخاصة هي شأني الخاص، وهي لا تهمك على الإطلاق.

إذن، فالسبب هو رجل. وأخذ ماكس يتأمل ذلك الوجه الغاضب المتوتر الذي أمامه، دون أن يظهر شيء من تفكيره على ملامحه:

ـ الحق معك تماماً، طبعاً.

وكانت جيليان عائدة إلى مائدتهم، فنهضت واقفة ونهض هو أيضاً.

قال: «أظن أن الوقت حان لذهابنا. كوري؟».

عندما قالت له ذلك كان قريباً منها إلى حد شمّت معه رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يضعه، فتراجعت خطوة بحركة لا إرادية ولكنها اصطدمت بالمائدة فاهتزت فناجين القهوة.

سألته: «نعم؟»

ـ عقد العمل بيننا دائم، وقد بدأ منذ الساعة التاسعة وخمس دقائق هذا الصباح.

* * *

٢ ـ رحلة في قلب النار

مرت الأسابيع القليلة التالية على كوري حافلة بالإلهام. فقد كانت تجد في عملها متعة. متعة؟ لا، فهذه الكلمة لا تصوّر الحقيقة، الواقع أنها كانت مغرمة بعملها. كانت تخرج من بيتها كل صباح متلهفة للوصول إلى المكتب، ورغم آلاف الأوامر التي تلقى إليها كل دقيقة... كانت الساعات تمرّ دون أن تشعر بها.

في شركة ستانلي عاشت أياماً حلوة وأخرى مرّة، ووضعها كسكرتيرة للمدير كان ممتعاً وحافلاً بالمسؤوليات معاً. لكن العمل عند ماكس هانتر كان شيئاً مختلفاً، ومع ذلك، صباح الاثنين في السابع عشر من أيار، عندما استيقظت كوري على سماء صاحية وشمس متألقة، وهي تفكر في أنها منذ اليوم ستبدأ وحدها العمل المجهد الذي كانت جيليان تقوم به بسهولة، شعرت بخوف غير قليل، وأخذت أمعاؤها تتقلب بشكل جنوني.

ليس معنى هذا أن ماكس هانتر لم يكن منصرفاً إلى عمله كلياً. نزلت عن السرير ثم نظرت من النافذة إلى السطوح في الخارج، وراحت تتذكر صبره وهدوءه معها.. اشتبهت في أنه بذل، لذلك، جهداً خاصاً أثناء فترة استقرارها في العمل، وبوجود جيليان، التي كانت تقرأ أفكاره وتعرف ما يريد قبل أن يفصح عنه، لم يكن لديه ما يجعله يحيد عن هذا التصرف. ولكنها باتت تعرف أنه ليس رجلاً صبوراً، في العادة.

حدثت نفسها، تخفف عنها، بأن عليها ألا تخاف.. فستكون على ما يرام، وفي النهاية ليس هو إلا رئيسها في العمل.. في اليوم الثاني لها في

الشركة، حين دخلت إلى مكتبه ووجدته ينظر عابساً إلى كومة من الأوراق، وقد خلع سترته وفتح أزرار قميصه العليا... نظرت إلى كتفيه العريضتين وجسمه الصلب، فتأثرت بذلك.

من حسن الحظ أنه كان أكثر اهتماماً بالتقرير الذي كان بين يديه، منه بدخولها عليه، بهذا كانت تفكر الآن وقد التهبت وجنتاها وهي تتذكر مشاعرها حينذاك.

لكنها أخذت تفكر غاضبة في أن ذلك لا يعني أنها منجذبة إليه، لا أبداً. السبب بكل بساطة أنها عملت عنده بعدما عملت عند السيد ستانلي الصغير الحجم، الأصلع والبطين، والحساس للبرد. ولهذا كان تأثير ماكس هانتر فيها كبيراً فهو ذو رجولة فياضة وحيوية بالغة. لكنها ستتمكن من السيطرة على مشاعرها هذه.. ستتمكن من ذلك طبعاً، فهي ليست مشكلة.

لكنها كانت ترجو ألا يتأخر ذلك، فهذا التأثير السخيف يجعلها دائمة التوتر. ومع أنها تبذل جهداً لئلا يبدو عليها ذلك، فقد كان الانفعال وتوتر الأعصاب يتملكانها دوماً أثناء وجوده.

سحبت كوري نفساً عميقاً، وأخذت تجول بنظرانها في أنحاء الغرفة السابحة في أشعة الشمس حتى استقرت على بقية قالب الحلوى الموضوع على سطح الثلاجة. لقد ذهبت إلى بيتها، لأول مرة، في العطلة الأسبوعية الماضية. وقبل أن تتحرك بها سيارتها عائدة إلى لندن، حمّلتها أمها طعاماً يكفي جيشاً بأكمله لمدة شهر من الزمان.

قطبت جبينها وهي تفكر في اليومين اللذين أمضتهما في يوركشاير. كانت علاقتها وثيقة بوالديها. وقد خرجوا جميعاً للسهرة مساء السبت واستمتعوا كثيراً. لكن لقاءها بشيشان بعد فراق ستة أسابيع، كان صعباً، بل أكثر من صعب.

كانت قد جاءت ليلة الجمعة في وقت متأخر وحالما وقعت عيناه على سيارتها الحمراء أمام بيتها صباح السبت، تقدّم يطرق الباب، ولم تستطع

التخلص منه إلا بعد ثلاث ساعات.

تتخلص منه؟ أجفلت كوري لأن ذلك التعبير راودها بشأن ڤيڤيان... لم يحدث قط أن فكرت في التخلص من ڤيڤيان. وهي، طبعاً، لم تكن تعني ذلك حقيقة، وكل ما في الأمر أن شعوراً غريباً تملكها لأنه كان مخطوباً لكارول، وهي لا تعرف كيف تتصرف معه. كما أنه كان يبدو... غير سعيد..؟ لا... لا يمكن أن يكون غير سعيد، طبعاً. كان مرهقاً فقط بسبب ترتيبات حفلة العرس الشاقة وما أشبه. وهذا شيء طبيعي.

سارت نحو الحمام وهي تهز رأسها.. ستغتسل وتعدّ لنفسها فطوراً خفيفاً قبل أن تنطلق للعمل.. ومع أن لديها وقتاً كافياً، تريد أن تصل إلى مكتبها باكراً لكي تفتح بريد ماكس فيكون جاهزاً حين وصوله. تريد الالتزام بنظام صارم مثة بالمئة طوال مكوثها في الشركة الذي قد يستمر سنوات، على الأقل. وآخر ما تريده هو التورط بعلاقة غرامية من أي نوع كان، فيكفيها ما خبرته من آلام وتعاسة في الحب أثناء الأشهر الماضية، فالعمل وحده هو الأمان. أما الرجال فلا يجلبون سوى الأحزان وتحطم القلب. لكن عينين ذهبيتين حادتين تمثلتا لها وهي تمدّ يدها إلى المنشفة، فتوقفت وراحت نفسها تحدثها بأن هذا أمر مختلف. إن ماكس هانتر رئيسها، وهذا كل شيء. وكل توتر أو اضطراب تشعر به نحوه هو شيء طبيعي إذا فكرت في أن استقرار معيشتها وتمويلها بيده، وهذا هو السبب الوحيد، السبب الوحيد لمشكلتها معه. هذا هو الأمر بكل تأكيد.

***

وصلت كوري إلى «شركة هانتر» الساعة الثامنة والربع، ولكن عندما دخلت إلى مكتبها ونظرت من الباب المفتوح الموصل إلى مكتب ماكس، أدركت أنه أمضى هنا نصف العطلة الأسبوعية، والدليل كمية الأوراق التي كانت منتشرة على مكتبه. الرجل «مدمن على العمل».

ـ صباح الخير.

كان الانشغال يبدو في صوته، وعندما فتحت فمها لتجيب، بادرها

قائلاً:

ـ هل يمكنك تجهيز نفسك للسفر إلى اليابان هذا المساء؟

قال ذلك وكأنه يطلب منها فنجان قهوة.

ـ «اليابان؟» ونظرت إليه بحيرة.

أجاب دون أن يرفع عينيه عن أوراق بين يديه:

ـ نعم. التعامل مع «كاتشوي» أصبح بالغ التعقيد. أريد أن أذهب إلى هناك لتصريف الأمور بنفسي، المواجهة الشخصية هي دوماً أفضل حل.

ثم نظر إليها فسمرتها عيناه الثاقبتان مكانها، ولكنه عاد فغض نظره مرة أخرى، وأضاف قائلاً: «عليك أن تحجزي تذكرتي سفر درجة أولى لأي وقت بعد الثالثة عصراً، من فضلك، كما أنني أريد قهوة سوداء ثقيلة ومعها شطيرة لحم أو دجاج لا جبن أو خضر، أريد تغذية وليس قصاصاً».

ـ حاضر.

حاولت أن تجعل صوتها حازماً كأي سكرتيرة وليس مذهولاً أو متأملاً بسبب مباغته إياها بالخبر.

ـ كما أريد ذلك التقرير الموجود على مكتبك مطبوعاً جاهزاً قبل منتصف الظهر. علينا أن ننجزه قبل السفر إذا شئنا أن نظفر بما نريد.

سألته بفتور: «كم تتوقع أن تطول رحلتنا؟»

أجاب وعيناه تجولان في وجهها:

ـ خمسة أيام، أسبوع على الأكثر. هل من مشكلة؟

ـ لا.. لا طبعاً.

أخذت تفكر... أسبوع بصحبة ماكس في بلد أجنبي؟ ثم يسألها إن كانت مشكلة؟ لكنها كانت تعلم ذلك عندما قبلت الوظيفة. كل ما في الأمر أنها لم تتوقع ذلك قبل أسابيع.. أي بعد أن تتأقلم.

مرّ الصباح بسرعة. وعندما أنجزت كوري طباعة التقرير لماكس، اندفعت عائدة إلى بيتها وأخذت تضع ملابسها بسرعة فائقة في الحقيبة وأعدت جواز السفر ثم عادت إلى المكتب بعد ذلك بساعة.

كانت الساعة الواحدة والنصف تقريباً عندما تذكرت كوري أنها لم تتصل بأمها لتخبرها عن الرحلة، وما إن أدارت رقم التليفون ورُفعت السماعة في الطرف الآخر من الخط، حتى اختار ماكس هذا الوقت بالذات لكي يدخل عليها بأوراق في يده وقد بان على وجهه الانشغال.

ولأن كوري سمعت صوت أمها في التليفون، لم تشأ أن تضع السماعة من يدها. لم يكن من عادته دخول مكتبها، وطوال الأسابيع التي أمضتها هنا كان يتصل من التليفون الداخلي ليستدعي جيليان إلى مكتبه.

أخذت تتحدث مع أمها بسرعة: «مرحباً، أنا كوري، أتصل لأنني سأسافر إلى اليابان في رحلة عمل تستغرق عدة أيام».

ردت أمها ذاهلة: «اليابان؟ ما أروع هذا يا عزيزتي! أنا مسرورة لأن الرحلة لم تحصل أثناء هذه العطلة، فقد أمضينا معاً وقتاً سعيداً استمتعنا، أنا وأبوك، به تماماً».

شعرت بالضيق وهذا الرجل واقف أمامها ينتظر لكنها أجابت: «سرتني رؤيتك أنا أيضاً».

ـ ثم، هل قلت اليابان؟ حسناً.. لا تنسي أخذ حبوب للغثيان معك. فتعلمين ما يفعله السفر بك....

أجابت وهي تشعر به يعبس منتظراً حتى دون أن تراه: «آسفة لاضطراري إلى إنهاء المكالمة، وسأهتم بنفسي. سأتصل حال عودتي».

ـ حسناً يا عزيزتي، أرجو لك رحلة سعيدة، كل حبي.

كانت هذه الجملة هي المتعارفة بينهما حين الوداع طوال وجودها في الجامعة في لندن، وهكذا أجابتها دون تفكير: «كل حبي» ووضعت السماعة، لكنها عندما رفعت عينيها إلى وجه ماكس ورأت الجمود يكسو وجهه، ثار غضبها. لقد أخبرها منذ البداية أن لها مطلق الحرية في تلقي الاتصالات الخاصة في المكتب، طالما كان الوقت مناسباً، وهذه المرة الأولى التي تتصل تليفونياً. وما كانت لتفعل ذلك لو لم يفاجئها بأمر هذه الرحلة فلماذا ينظر إليها مقطباً حاجبيه. حتى السيد ستانلي كان يتسامح

معها أكثر منه.

ـ نعم، شكراً.

قالت له ذلك باختصار وبرود تشعره بذلك أنها غير راضية عن موقفه هذا منها.

ـ إذن ربما استطعت مراجعة أرقام البيع هذه بشكل أفضل مما قامت به سكرتيرة السيد ماسون. لا أتوقع من السيد «كاتشوي» أن يقبل بتضييع وقته في قراءة كل هذه الأعمدة السخيفة من الأرقام غير الضرورية. مهما كان مقدار ما ندفعه لتلك المرأة، فهو كثير عليها.

قال ذلك بضيق بالغ وكأنها هي المسؤولة عن ذلك الخطأ.

تناولت منه التقرير وقالت بصوت متوتر بارد اللهجة كصوته:

ـ حسناً، علينا أن نغادر إلى المطار في الساعة الثانية والنصف. الطائرة تنطلق في الرابعة.

حاولت ألا تمسك يدها يده أثناء تناول التقرير منه، وعندما انزلقت الورقة الأخيرة وأوشكت على السقوط اندفعت تتشبث بها في الوقت الذي انحنى فيه ليلتقطها، فلامس رأسه رأسها.

كان لعطره وقربه منها، تأثير صدمة كهربائية جعلت يديها تتراخيان فهوت بقية الأوراق على رأسه المنحني عندما تراجعت إلى الخلف:

ـ آه، أنا آسفة.

هتفت بذلك وهي تندفع إلى الأمام لتلتقطها فإذا برأسيهما يصطدمان بقوة هذه المرة جعلت ماكس يرى نجوماً أمام عينيه لحظة أو اثنتين.. رأته يترنح لحظة وبدأ يشتم لاعناً قبل أن يتمالك نفسه ويقول:

ـ اتركيها.. اتركيها بحق الله عليك، سألتقطها بنفسي.

سحبت نفساً عميقاً وهي تراه يحني ركبتيه ويجمع الأوراق.

ـ شكراً!

وكان هذا كل ما استطاعت قوله.

ـ بكل سرور.

وحملق فيها لحظة قبل أن يلقي على مكتبها الأوراق المبعثرة ثم يرتد على عقبيه متجهاً إلى مكتبه صافقاً الباب خلفه.

هذا رائع، رائع تماماً. حدقت كوري في أثره وهي تحاول تهدئة خفقات قلبها.. تعلم ما كان يفكر فيه وهو يجلس خلف مكتبه ذاك... عودي يا جيليان.. كل شيء مغفور لك. ارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة رغم ارتباكها، ففي الأسابيع الستة التي أمضتها مع جيليان لم ترها مرة واحدة تفقد توازنها أو صبرها أثناء تعاملها مع رئيسها. حسناً، يقولون إن التنوع يعطي الحياة رونقاً..

لم يغامر ماكس في الإطلال برأسه من مكتبه مرة أخرى حتى دقائق قليلة قبل موعد خروجهما من المكتب، وبعد أن أنهت طباعة آخر رقم من أرقام المبيعات التي نظمتها لتصبح واضحة سهلة الفهم.

ـ لقد انتهيت لتوّي.

لم تنظر إليه مباشرة لأنها لم تستطع ذلك.

ـ هذا ممتاز، هل راجعت الصفحات كلها؟

ـ نعم.

لم تضف أنها وجدت بعض الأخطاء التي دفعتها للذهاب إلى السيد ماسون لتتأكد من الأرقام الحقيقية.. وقد شعرت أن سكرتيرته لن تمكث طويلاً في الشركة، على كل حال.

ـ هذا حسن، لقد حان وقت ذهابنا، هل أنت جاهزة؟

نظمت بقية الأوراق المطبوعة ثم ناولته إياها وقالت وقد توهجت وجنتاها.

ـ نعم، أنا جاهزة.

وما لبثت أن شعرت بالراحة لأنه عاد إلى مكتبه ليحضر أشياءه ويقفل الباب خلفه.

ما الذي جرى لها؟ أتراها جنّت؟ لم يسبق أن تملكتها مشاعر كهذه نحو رجل من قبل، حتى نحو ڤيڤيان. ولكن ڤيڤيان لم يكن مثل ماكس

هانتر. فتحت هذه الأفكار عينيها على اتساعهما وانهارت على كرسيها ثم عادت وهبت واقفة لتنظم مكتبها وتحضر حقيبة ثيابها ومعطفها من غرفة الملابس، وفي هذا الوقت راحت تحدث نفسها بأنها سكرتيرته.. مجرد سكرتيرته.. وأنها ستجن لو أدرك لمحة من مشاعرها نحوه، فعند ذلك، سيسيء التفسير وسيظنها منجذبة إليه أو ما أشبه، وهذا غير صحيح... غير صحيح.

كان واضحاً، وهو يسير معها، أنه من النوع الذي يهتم بشكل آلي بالمرأة التي معه. إذ كان يخترق بها زحام المسافرين وذراعه حول خصرها يحميها من فوضى الهرج والمرج، وكان ذلك أمراً حسناً للغاية، ولكنه كان مربكاً كذلك، بل بالغ الإرباك في الحقيقة.

كانت واعية تماماً إلى ما أحدثه وجوده من ضجة خفيفة بين النساء... وإن بدا أن ماكس لم يلحظ ذلك. وكانت المسنّات متحفّظات متزّنات بينما الصغيرات تملكتهن الرهبة كما يبدو. لكن امرأتين أظهرتا وقاحة غير عادية في إظهار استحسانهما له.

عندما أصبحا في الطائرة، وجدتها من الرفاهية بمكان لم تطله أحلامها.. خلع ماكس على الفور سترته وربطة عنقه واستقر في مقعده باسترخاء تام.

قال لها بتكاسل وهو يلحظ توترها:

ـ اخلعي حذاءك وأعدي نفسك لرحلة طويلة، فسنمضي اثنتي عشرة ساعة في الجوّ، واختلاف التوقيت يعني أن الطائرة ستحط بنا في منتصف النهار بحسب توقيت طوكيو. سنجتمع بالسيد «كاتشوي» عند العصر، وهذا يعني أربعاً وعشرين ساعة طويلة. وعندما نتناول الطعام حاولي أن تنامي عدة ساعات.

أومأت كوري برأسها بحذر. نعم، ستحاول ذلك، كما أنها ستحاول أن تكون تلك السكرتيرة الكفؤ التي يتوقعها رجل في مثل مركزه.

فكت أزرار سترتها وأراحت قدميها من ضغط الحذاء ولكنها فكرت

برزانة في أن للمشاعر أماكن كثيرة ليس منها مكان العمل. . لم تعتبر نفسها قط فتاة عاطفية بشكل خاص، فقد كان حبها لڤيڤيان عبارة عن مزيج من الولع والدفء العاطفي، وطبعاً كانت تراه رجلاً بالغ الوسامة. فهو جذاب كثيراً ولكنه لم يكن يثير الحواس. . . على الأقل ليس بالطريقة التي يؤثر فيها ماكس على حواسها.

وعندما جلست متصلبة في مقعدها، مال نحوها يقول بصوت منخفض بالغ الرقة:

ـ لا تظهري بمثل هذا القلق. ما كنت لأقبل بك سكرتيرة لي لولا علمي مدى كفاءتك بهذا العمل، ألم تلاحظي أنني لست من رجال الإحسان؟

وعندما رآها تحدّق إليه بصمت، أضاف يقول مازحاً:

ـ أنا أمزح لأسلّيك، لكنني لا أريد أن تشعري بأنك مرغمة على الابتسام لمجرد أنني أدفع لك مرتبك.

ـ لا تخف، لن أفعل هذا.

كان من القرب منها بحيث استطاعت أن ترى لحيته السوداء النابتة، وتشم رائحة عطر ما بعد الحلاقة. لكنها الآن أرغمت نفسها على الضحك، فأجابها لاوياً شفتيه:

ـ لا، لا أظنك تفعلين.

والتفت إليها يتفحصها بعينين ضيقتين عدة ثوانٍ قبل أن يضيف قائلاً:

ـ أياً كان ذلك الشخص، فإنه لا يستحق كل وجع القلب هذا، كوري. خذي هذه النصيحة من خبير.

اتسعت عيناها دهشة:

ـ ماذا؟ ما هذا الذي تتحدث عنه؟

ـ عن ذلك الرجل الذي جعلك تهربين.

ـ صدقني، ليس لديّ أية فكرة عما تتحدث عنه. . . .

تابع بهدوء متجاهلاً قولها هذا بغطرسته الطبيعية:

ـ ما الذي حدث؟ أتراه أدرك غلطته بعد مجيئك إلى لندن، فأخذ يتصل بك يحاول إقناعك؟

أجابت ساخطة: «لم يحاول أحد الاتصال بي لإقناعي».

ـ لم يظهر لي الأمر بهذا الشكل.

تساءلت بصمت عما يتحدث. إنه لا يعلم شيئاً عن ڤيڤيان، وماذا هناك ليعلمه. . في هذه اللحظات تملكتها المرارة، فلم يكن هناك شيء قط في الحقيقة. كان الحب من جانب واحد بكل ما في الكلمة من معنى.

عادت تقول بإصرار:

ـ ماكس، لم يتصل بي أحد لأمر كهذا.

بالنسبة لڤيڤيان، ليس ثمة ما يقال. فما هي بالنسبة إليه إلا مجرد كوري الطيبة، والصديقة، وموطن الثقة، والساذجة. . . الساذجة؟ من أين أتت هذه الصفة؟

ـ لماذا إذن أخبرته بألا يقلق عليك وأنك تحبينه؟

ـ أنا أخبرت ڤيڤيان أنني أحبه؟

انطلقت هذه الكلمات من فمها دون تفكير. لكنه تشبث بها كما يتشبث الكلب بالعظمة وتألقت عيناه وتوترت شفتاه:

ـ ڤيڤيان؟ هل هذا هو اسمه؟

قال ذلك بازدراء، لكنه لم يظهر السرور. تابع يقول: «أرى أن هذا الاسم يناسب المرأة أكثر من الرجل».

خرج الأمر من يدها. فسحبت نفساً عميقاً وحاولت تمالك نفسها:

ـ ماكس. . حدث بيننا سوء فهم هنا، فأنا لم أتحدث إلى ڤيڤيان منذ العطلة الأسبوعية، والمؤكد أنني لم أخبره بأنني أحبه. إذا كنت تشير إلى تلك المخابرة في المكتب، فقد كنت أتحدث فيها مع أمي.

ـ «أمك؟» أخذ يطرف بجفنيه، صامتاً، وكانت هذه من الفرص النادرة. . التي ترى فيها ماكس هانتر لا يعرف ما يقول.

شعرت بشيء من الرضا وهي ترى رئيسها ينظر إليها ذاهلاً. . قالت

تجيبه:

ـ نعم، أمي. أتستغرب أن يكون لديّ حياة خاصة خارج «شركة هانتر»؟ ثمة أشخاص قد يصيبهم القلق إن لم أردّ على اتصالاتهم طوال أسبوع.

استعاد توازنه على الفور:

ـ مثل ڤيڤيان السابق الذكر، لقد زل لسانك بالاسم.

ما الذي جعلها بهذه الحماقة؟ حدقت إليه وكأنها تتساءل عن مقدار ما عليها أن تخبره به، وكان هو يراقبها بإمعان، متفحصاً ردة فعلها بطريقته المماثلة لطريقة قطٍ ضخم. كان قميصه الكهرماني الشاحب يبرز لون عينيه الذهبي المتألق فظهر وكأنه حيوان يهم بالقفز.. آه، تماسكي يا امرأة! أرغمت نفسها على الميل في مقعدها إلى الخلف وقد خطر لها أن ماكس هانتر هو رجل يحب أن يعرف كل شيء... هذا ما عرفته عنه في الأسابيع الستة الماضية. وبالنسبة إليه، سكرتيرته هي ملحق له.

كانت حياة جيليان كتاباً مفتوحاً. تزوجت في الخامسة والعشرين من حبيب طفولتها، ثم وجدا أن ليس بإمكانهما الإنجاب، فكان أن وضعا كل طاقاتهما في العمل.. وكان هذا حسناً جداً بالنسبة إلى جيليان. أما هي فلا ترى أن الكشف عن حياتها الخاصة مرتبط بعملها عند ماكس هانتر، أخيراً قالت بصوت فاتر:

ـ ڤيڤيان هو صديق، صديق قديم عزيز. وقد عرفته منذ سنوات. هل هذا مفهوم؟

ـ لا. أريد أن أعلم أنك معي مئة بالمئة، كوري، وهذا هو المهم. أنا لا أريد سكرتيرة تعاني من حب غير متبادل، أو أي شيء من هذا النوع، هذا لا يفيد بشيء، وهو يؤثر في عملك وأنت تعرفين هذا.

حدقت إليه غاضبة، كان هذا كثيراً.

ـ ما أشد جرأتك!

ـ أنا جريء لأن الأمر ضروري، فعملي يعتمد على سكرتيرتي إلى حد

يجعلني لا أهتم بحلاوة اللسان.

ـ إسمع ماكس...

وسكتت تكبح جواباً حاداً بعد أن لمعت في ذهنها عدة أفكار. إنه يدفع لها راتباً جيداً للغاية.. والخبرة والمركز اللذان ستكتسبهما بصفتها سكرتيرته ومساعدته الشخصية سيكونان في منتهى الأهمية. هنالك مئات الفتيات... اللاتي يملكن نفس مؤهلاتها.. واللاتي على استعداد لتقبيل يديه إذا منحهن فرصة العمل عنده، ولهذا يحق له من أن يطلب من سكرتيرته تكريس نفسها للعمل مئة بالمئة، وهذا ليس مشكلة على كل حال. ليس مشكلة حقاً! لماذا إذن لا تبتلع كلامها الجارح، وتخبره بذلك؟

قالت بفتور: «ڤيڤيان هو حبيب الطفولة لكنه سيتزوج من فتاة أخرى، وأنا لست.. أنا لست متشبثة به. أريد أن أنجح في عملي هذا. أريد ذلك حقاً، وأريد منك أن تصدقني لأنني لن أتوسل وأتضرع إليك لكي تفعل هذا».

قالت هذا وهي تنظر في عينيه بثبات.

ـ ليس عليك أن تفعلي هذا، هل لي أن أسألك عن شيء آخر؟

أصبح صوته الآن رقيقاً إلى درجة غريبة. أومأت إيجاباً، مع أنها رغبت في قول «لا».

سألها بلطف:

ـ لو طلب منك غداً أن تمنحيه فرصة أخرى، وكان صادقاً في ذلك، فماذا سيكون ردك؟ أريد الحقيقة، الآن.

ـ لا أدري.

كان وجهه جذاباً للغاية، ولم تستطع كوري مقاومة سحره. الشعرات الفضية المتألقة في شعره الأسود أضفت خبرة على جاذبيته المغناطيسية، جعلتها مدمّرة.. كم من النساء أحببنه في زمانه؟

هز رأسه ببطء، لاوياً شفتيه:

ـ لا تدرين؟ منذ متى تحبين هذا الشاب، كوري؟ حبيب الطفولة هذا، المقدم على الزواج قريباً؟

ـ أحببته دائماً.

هز رأسه يردد كلماتها:

ـ دائماً؟ ومع ذلك إذا جاءك غداً، مفصحاً عن حب لا يموت، لا تعلمين ما إذا كنت تقبلين عودته إليك أم لا؟ هل هذا صواب؟

بدا الأمر فظيعاً وهو يصفه بهذا الشكل فأخذت كوري تحدق إليه وقد بدا التشوّش في عينيها الخضراوين واحمرت وجنتاها. لماذا يلوي الأمور بهذا الشكل؟

ـ كوري، هل هذا صواب؟

ـ إنك تلوي الأمور.

كان ردها ضعيفاً لكنها لم تستطع التفكير في شيء آخر.

ابتسم ببطء وبدا الدفء في عينيه: أنا؟

عند ذلك، كل شيء في حياتها أصبح هباء. وكل مفاهيمها عن العهود، والحب، والاتزان والحذر، قد تلاشت فقد مال نحوها يعانقها بسرعة وخفة وسرعان ما عاد يسند ظهره إلى الخلف ويغمض عينيه قبل أن تتمكن من قول أي شيء، أو حتى تتحرك. ثم قال بصوت هادئ تماماً:

ـ الشاب معتوه لا يستحقك وأنت تعلمين هذا في أعماقك. إنسيه وتابعي حياتك، كوري. إنك شابة وجميلة وقد حان الوقت للاستمتاع بالحياة. اجتهدي في العمل واللهو أثناء السنوات القليلة القادمة، ففي بحيرة لندن سمك كثير، ولا حاجة للتخبط في المياه الضحلة إلى الأبد.

لقد عانقها.. حمدت كوري ربها لأن أحاسيسها التي أخذت تتدفق إثر هذا العناق لم تكن واضحة، ولكن رغم هذا، كان وجهها متوهجاً. سرّها أن ماكس كان مغمض العينين. لكنها ما لبثت أن حدثت نفسها بأن مثل تلك اللمسة البسيطة لا يمكن أن تسمى عناقاً.. وأن عليها أن تستخدم عقلها.

كان يعني نهاية تشجيعية لحديثهما، فهي لا تعني له سوى القليل.. إنها أشبه بالتربيت على الظهر. وليس ذنبه إن كان تأثيره فيها بالغاً. ولكن هذا ما حدث، ولم تستطع تفادي ذلك.

استندت إلى الخلف وأغمضت عينيها، تريد لوجنتيها المتوهجتين أن تعودا إلى طبيعتهما. وبعد ثوانٍ حدثت نفسها غاضبة بأن الذنب ذنبه حقاً. فقد كان ذا رجولة ساحقة. هناك نوع من الرجال تجد النساء سهولة في إقامة علاقة شريفة معهم، كالأصدقاء وزملاء الدراسة والعمل، بينما رجال آخرون تواجه المرأة صعوبة في مقاومة جاذبيتهم ورجولتهم الفياضة.. مثل ماكس هانتر. إنه رجل فريد من نوعه، دون شك. وليست هي وحدها التي تظن ذلك. فقد لاحظت تأثيره في النساء أثناء الأسابيع الأخيرة.

عضت شفتها، وشعرت بالراحة لأنها اعترفت أخيراً لنفسها بأنها لا تعدو أن تكون مثل غيرها من النساء في افتتانها به. لكنه رئيسها وهذا يعني أنه زميل العمل الوحيد لها، وستتعامل معه يومياً، وما تشعر به من انجذاب يجب أن تبقيه في الخفاء. لقد أوضح، في أول يوم لها في الشركة، أن كل ما يريده في السكرتيرة هو الكفاءة، والذكاء والرضا. وأي ميل آخر يعني صرفها في الحال.

عند هذا بدأت ترى الأمر بوضوح، فهي مسيطرة على مشاعرها، بطبيعة الحال، وهذا حسن.. حسن تماماً. لا ضرورة إذن للذعر أو الحذر.

وعادت بذهنها إلى حديثها المزعج عن ڤيڤيان. أتظن حقاً أنه يعتبرها ساذجة؟ كان الجواب واضحاً جلياً، لم تتصور أنه كان ينمو عاطفياً في نظرته إلى المستقبل، مستقبلهما. لقد دللته، وانشغلت به أكثر مما يلزم. وفي الجامعة، عندما كانت تخرج مع صديق، وهو أمر اتفقا على التسامح به، كان شبحه دوماً معها. كان الهدوء والألم يبدوان عليه دوماً كلما تحدثت مع رجل. رغم أنه كان هو أيضاً يقابل فتيات. وقد خُدعت بذلك.

اعترفت بهذا الآن بحنق صامت! خُدعت كلياً...

ثم استمر يتسكع حولها بعد أن اتجه اهتمامه إلى كارول، وتصرّف وكأنها أخته الصغيرة التي كان يشملها بحمايته، محرّفاً الأمور بحيث جعلها تقتنع بأنها أساءت فهم طبيعة علاقتهما في الماضي، كيف كانت بمثل ذاك الغباء؟ عليها أن تمنع نفسها من الشعور بالغيظ. كان احترامها له سيزيد، وكذلك إعجابها، لو أنه جاء إليها مباشرة يخبرها بأنه لم يعد يحبها لأنه وقع بحب فتاة أخرى. لو فعل ذلك لتفهمت الأمر.

كان ينبغي أن تفهم كل ذلك. لكنها لا تدري لماذا لم تفعل، لماذا احتاجت أن يأتي رجل غريب، ماكس هانتر، ليدلها على ما هو واضح؟ ماذا جرى لها؟

ـ يا له من وجه صغير غاضب.

كانت كلمات هادئة ساخرة.

فتحت عينيها والتفتت لترى العينين الذهبيتين مسمّرتين على وجهها.

قالت بسرعة: «كنت.. كانت أحلام يقظة، هذا كل شيء».

قال مازحاً: «لن أسألك عنها. لديّ شعور بأنه يستحسن ألا أعلم، لقد أحضرت المضيفة قائمة طعام العشاء، هل تريدين رؤيتها؟»

قائمة طعام. هل لديهم قائمة طعام حقيقية في قسم الدرجة الأولى؟ آه، كيف يعيش الأغنياء! تناولت كوري القائمة منه وهي تبتسم شاكرة، ثم أخذت تتفحصها.

لا بأس. إنها أول رحلة لها في الدرجة الأولى، وستستمتع بذلك قدر إمكانها.

لم تكن واثقة من طبيعة مشاعرها نحو ڤيڤيان، لكنها كانت تعرف شيئاً واحداً وهو أنها كانت على صواب في تركها يوركشاير لنشر جناحيها. أما كون طيرانها إلى عش ماكس هانتر بالذات هو أمر صائب، فهذا أمر آخر. والزمن وحده كفيل بأن يخبرها ما إذا كانت قفزت من المقلاة إلى النار.

ألقت على ماكس نظرة جانبية وخفق قلبها. حدثت نفسها بجفاء بأنه

يجب أن يكون هناك قانون ضد أيّ رجل يملك كل هذه الجاذبية. لكنها آمنة، على الأقل، من أي إغراء أو ضعف نحوه. فهو لا يريد سوى سكرتيرة، وعليها أن تشكر حظها لذلك. لأنها ليست واثقة من نفسها ومناعتها ضد سحره، ذلك أن ماكس رجل ينوي البقاء أعزب، وهي تراهن على أنه حطم قلوباً لا تحصى في أنحاء الكرة الأرضية.

ـ ما هذه الابتسامة الغامضة على شفتيك الجميلتين، هل لك أن تخبريني بماذا كنت تفكرين؟

قال ذلك بلهجة بطيئة متكاسلة.

التفتت إليه بسرعة، فقد كانت تحسبه مغمض العينين. كان جسمه مسترخياً كلياً كما أن أنفاسه منتظمة ثابتة.

ـ لا.

ـ هذا ما ظننته. اختاري طعامك ثم عودي إلى الاسترخاء، يبدو عليك التوتر البالغ.

آه، كم هو على صواب.

***

٣ ـ لا يخطىء أبداً

حطت بهما الطائرة في «ناريتا»، مطار طوكيو الدولي، قبل منتصف النهار مباشرة. ووجدا سيارة السيد «كاتشوي» وسائقه في انتظارهما لأخذهما إلى فندقهما للاستراحة قبل الذهاب إلى الاجتماع.

لم تأخذ كوري سوى غفوة خفيفة أثناء الرحلة. كانت متوترة توتراً منعها من النوم العميق كما فعل ماكس، ومع ذلك ورغم كل التعب، كانت ملهوفة لإلقاء النظرة الأولى على طوكيو.

كانت المدينة فسيحة للغاية، فيها خمسة ملايين شخص يخرجون إلى العمل ثم يعودون. ولم يكن قضاء أربع ساعات في رحلة كهذه يومياً، شيئاً غير عادي بالنسبة إلى مثل هذا الطوفان البشري. قال لها ماكس ذلك وهو يراها تملأ عينيها من مناظر المدينة وشوارعها.. وهما يعبرانها بالسيارة.

نظرت إليه مذهولة:

ـ أربع ساعات؟ يا للمساكين!

ـ في البلاد الأخرى، لا بد أن يسبب ذلك ثورة حقيقية. أما هنا فيغرسون الصبر وضبط المشاعر في الشخص منذ الولادة، وكل شخص يعامل الآخر باحترام كبير.

قال ماكس ذلك بلهجة الاستحسان، ومال إليها قليلاً لأنه ألقى نظرة من النافذة وهذا ما جعل أنفاسها تضيق.

ـ المدينة مقسمة إلى قرى ومدن مستقلة يصل بينها تحت الأرض نظام

قطارات ممتاز للغاية.

لم تتمالك كوري نفسها من أن تسأله:

ـ هل تحب هذه المدينة؟

ـ نعم، ففيها لا تقع حوادث في الشوارع ولا سرقات.

عند مرورهم بمنطقة «شيبويا» التفت السائق إليهما قليلاً وأخذ يتحدث باليابانية بطلاقة، فأجابه ماكس باليابانية بمثل طلاقته قبل أن يلتفت إليها قائلاً:

ـ إنه يطلب مني أن أخبرك بالقصة المتعلقة بمحطة «شيبويا»، فكل شخص في طوكيو يعرفها. اعتاد الكلب «هاشيكو» أن يرافق صاحبه الأستاذ الجامعي إلى المحطة كل صباح، ثم يعود للقائه كل مساء، وذات يوم لم يعد الأستاذ. لأنه أُدخل المستشفى مريضاً ثم مات.. انتظره الكلب إلى آخر قطار، ثم عاد إلى البيت حزيناً، وبقي يكرر رحلته هذه كل مساء طوال سبع سنوات حتى مات هو أيضاً. تأثر سكان طوكيو بوفاء الكلب هذا، فجمعوا مبلغاً أقاموا به له تمثالاً من البرونز خارج المحطة.

ـ آه! يا لها من قصة محزنة.

ـ إلى حدٍّ ما.

كان ينظر من خلفها إلى خارج النافذة، فرأت عينيه تغيمان وهو يضيف قائلاً: «إنه اتهام لموقف الإنسان من الوفاء».

ـ آه، أظن أن أكثر الناس قادرين على الوفاء.

ـ هل أنت كذلك؟

جعلها شيء في صوته تلتفت إليه بحدة لتواجهه، ومع أن وجهه كان جامد الملامح فقد كان العبوس موجوداً وهو يقول بهدوء:

ـ لا أوافق على هذا، الزواج الأحادي هو أكثر الأساطير زيفاً والالتزام به يسبب تعاسةً لا توصف.

كان واضحاً أنه يعني كل كلمة فنظرت إليه بذعر ثم قالت:

ـ نظرتك إلى الوفاء والإخلاص قاسية، أليس كذلك؟

www.elromancia.com

أجاب باختصار وقد ظهرت في عينيه نظرة متحجرة: «لكنها واقعية، بالنسبة إلى الرجل والمرأة على كل حال».

رأت أن عليها أن تغيّر هذا الموضوع، فهذا اليوم الربيعي دافئ منعش. لكنها لم تقوَ على ذلك. فقالت بهدوء:

ـ لا أظن ذلك. أعرف زيجات كثيرة كان كل من الزوجين فيها غاية في الوفاء والإخلاص ولم ينظر قط أحدهما إلى أحد آخر.

هز رأسه ببطء، وعيناه لا تبارحان وجهها:

ـ ما أسمعه منك هو أكثر الكلام غطرسة: ما الذي يجعلك تتأكدين من أنهم راضون أم لا؟ كما أنك لا تعلمين ما إذا كان الواحد منهما يشبع شهوته خارج بيته.

ـ إذن، حسب قولك، الناس جميعاً ينتهزون أية فرصة تسنح لهم لخيانة أزواجهم، أو، على الأقل، يحنّون إليها.

أمعن فيها النظر لحظة صامتاً، وقد بان في وجهه لمحة من التسلية بسبب سخطها هذا الذي جعلها تهم بضربه، ثم قال بصوت متكاسل:

ـ نعم، هذا مؤكد.

ـ كلام فارغ.

ـ كلام فارغ؟

لو صفعته، لما كانت ردة فعله أقوى مما هي الآن.

حسناً، لم تعد التسلية بادية على وجهه على أي حال. فشعرت كوري بعدم الراحة بسبب علائم الغضب البادية على وجهه. وتساءلت عما إذا جرؤ أحد من الناس قط على أن يقول لماكس هانتر في وجهه بأنه ينطق بكلام فارغ، لكنها لم تتراجع، فكررت قولها بشيء من التوتر:

ـ نعم، كلام فارغ... أعترف أن البيئة في المدينة تختلف عنها في القرية، وربما رأيك قائم على عشرتك للمعارف المقربين والأصدقاء، لكن في مدينتي أشخاص كثيرون تزوجوا منذ عشرين، ثلاثين، أربعين عاماً، وما زالوا سعداء.

ـ أتريدين حقاً أن تخبريني أن نماذج الفضيلة أولئك ما زالوا يعيشون في حالة من السعادة والشغف؟

ردت عليه بحدة: «نعم، أنا متأكدة».

تنهد بشكل يظهر استسلامه وأسفه لسذاجتها فلم تجد كوري ثقة كافية في نفسها لتتكلم. أن تقول لمخدومها بأنه ينطق بكلام فارغ هو شيء، وأن تخبره بأنه متعجرف وضيع ومتعصب هو شيء آخر تماماً..

ثم خطرت ببالها فكرة، فالتفتت إلى ماكس وقالت بصوت حاولت تهدئته قدر إمكانها:

ـ هل تعلم ما إذا كان ذلك الكلب الوفي ذكراً أو أنثى؟

بدت في عينيه نظرة عدوانية، فعرفت الجواب قبل أن يقول بسخرية:

ـ عندما أخبروني، أشاروا إلى الحيوان بصفة المؤنث.

أومأت كوري برأسها مفكرة. ثم قالت بصوت جامد تماماً:

ـ نعم، هذا لا يدهشني.

كان هذا انتصاراً تافهاً لها، لكنها في مثل هذا الظرف كانت تريد التشبث بما تحصل عليه.

كان فندقهما في «أبيسو»، وهي منطقة هامة. كانت غرف الفندق مترفة ونظيفة للغاية.

رغم ساعات الرحلة الطويلة، لم تستطع كوري أن تقاوم متعة الاستحمام في ذلك الحمام الغريب الشكل الرائع الجمال، حيث نظرت إلى نفسها في المرآة.

لم يكن يبدو عليها التعب.. طمأنت نفسها من هذه الناحية وهي تتقدم إلى الأمام تمعن النظر إلى الفتاة المتوهجة الوجه المتألقة العينين التي في المرآة. لقد أرسلت شعرها الحريري الكثيف على كتفيها. فماكس لم يرها قط وشعرها مرسل...

خطرت هذه الفكرة في ذهنها فشعرت بصدمة جعلتها تقفز من مكانها عائدة إلى غرفتها حيث ارتدت ثيابها بسرعة قياسية، ثم عقدت شعرها إلى

www.elromancia.com

الخلف.

كان ماكس في الغرفة المجاورة، وعندما طرق بابها بعد ذلك بربع ساعة، كانت على أتم استعداد. شعرت بالسرور لتمكنها من السيطرة على أعصابها.. كان واقفاً عند العتبة بعدم حماس. والواضح أنه استحم هو الآخر لأن شعره الأسود الكثيف كان ممشطاً إلى الخلف بنفس طرازه المعتاد لكنه ما يزال مبتلاً، غير أن خصلتين أفلتتا إلى الأمام، فبدا مظهره صبيانياً ساحراً.

قال بابتسامة صغيرة: «هل أنت جاهزة؟»

أجابت بسرعة: «نعم... سأحضر حقيبتي».

دعت كوري الله أن يمنحها القوة لتكون أهلاً لمتطلبات هذه الرحلة المرفهة، وشعرت فجأة بالخوف من أن توقع ماكس ونفسها بالخذلان. جيليان كانت في منتهى الخبرة في مهنتها، وهي لن تبلغ قط مستوى سكرتيرته تلك. شعرت بالغثيان وهي تفكر في كل ذلك.. لماذا تشعر بالضعف في هذه البلاد الغريبة؟

قال لها بهدوء: «ماذا جرى لك؟»

وعندما التفتت إليه تواجهه، كان قد دخل إلى الغرفة من الممر وأخذ ينظر إليها بإمعان.

ـ ماذا.. ماذا جرى؟

خرجت الكلمات من بين شفتيها مرتجفة تختلف تماماً عما ينبغي أن تكون عليه كلمات تصدر عن سكرتيرة ومساعدة شخصية، وما لبثت أن أرغمت صوتها على التماسك وهي تضيف قائلة:

ـ لا أفهم، لم يحدث شيء، أنا بأحسن حال.

ـ كاذبة...

ثم تحرك بخفة بالنسبة إلى حجمه. وبخطوتين أو ثلاث، أصبح بجانبها يرفع ذقنها بإصبع قوي، وينظر إليها بثبات لحظات قبل أن يقول بهدوء:

ـ هل أنت متوترة الأعصاب بسبب الاجتماعات القادمة وما يستتبع ذلك، أم بسببي؟

جمدت كوري في مكانها، يا له من مدع! إنه يدعي المعرفة بكل شيء. ومع أنه على صواب في ظنه، لكنها تفضل السير على الجمر على أن تعترف له بذلك.

انتصبت بقامتها البالغة مئة وثلاثة وستين سنتمتراً، ورغم أن ماكس كان يزيدها طولاً بثلاثين سنتمتراً على الأقل، إلا أن ذلك لم يشكل فرقاً يذكر بالنسبة لهذه الأمور، وأخذت تحدق إلى وجهه الأسمر، ثم قالت تكذب مرة أخرى:

ـ ولماذا يحصل لي ذلك من أي منهما؟

تمتم يقول: «يا لهذا الغضب، ما الذي جعلك حساسة بهذا الشكل، يا كوري؟»

«حساسة؟» آلمتها هذه الصفة، فقد اعتبرت نفسها دوماً بالغة الاتزان سخية النفس. صحيح أنها تصبح أحياناً غاضبة محتدمة المشاعر، وكانت دوماً تلقي اللوم، لهذه الناحية فيها، على قانون الوراثة من أمها. ولكنها تكره أن توصف بالحساسية وسرعة الغضب، وهي لم تكن كذلك قبل تعرّفها إلى ماكس هانتر، على كل حال. فقالت بسرعة وحدّة:

ـ لست سريعة الغضب.

فقال موافقاً بسخرية: «طبعاً أنت لست كذلك».

شعرت بدافع غريب لرفسه بقدمها، وهذا شيء لم تفعله منذ طفولتها. فراجعت نفسها على الفور، وبدلاً من ذلك، استجمعت شتات نفسها وقالت ببرودة الثلج:

ـ أظن أن علينا الذهاب إلى مقر كاتشوي؟

أجاب ببساطة وبرودة أغاظتها:

ـ كل شيء في وقته، فستأتي السيارة بعد ساعة. رأيت أن بإمكاننا تناول فنجان قهوة في الطابق الأرضي أولاً بينما نراجع بعض الأرقام في

تقرير الألكترو ـ سيراميك.

ورفع حاجبيه متسائلاً والسخرية في عينيه، أومأت بسرعة: «حسناً».

سرتها فكرة تناول القهوة في ردهة الفندق، أي شيء أفضل من البقاء في غرفتها هنا مع هذا الرجل. في الواقع، كانت تميل دوماً إلى اعتبار الخروج مع الرجال أمراً لا يستحق الاهتمام. وكانت دوماً تقطع العلاقة قبل أن تفلت زمام الأمور من يدها.

قال ماكس بهدوء: «كوري، لا أريد أن أعالج الموضوع بالتفصيل الممل، وليس من طبعي أن أبيّن الأمر الواضح، ولكنني لست عدوّك».

كانت تمر بجانبه قاصدة الباب المفتوح عندما تكلم، وعندما لمست يده كتفها النحيلة يديرها لتواجهه، تصلب جسمها لتريه أن لا ردة فعل لديها. ثم حاولت أن تبدو متمالكة لنفسها مثل جيليان، ولكن الأمر لم يكن سهلاً. وقالت: «أعلم هذا».

تابع يقول بهدوء: «إننا هنا في عمل، ولكن إذا كنت على هذه الدرجة من التوتر، فستفسدين الأمور على نفسك.. إن ثقتي بك عظيمة.. لن يكون هناك في الأيام القليلة المقبلة ما لا تستطيعين التعامل معه. صدقيني».

آه، يا للسخرية. هناك شخص طوله ست أقدام وأربعة إنشات تظن أنها لن تستطيع التعامل معه. لقد استماتت في الأسابيع الستة الماضية في السيطرة على مشاعرها المجنونة التي تحركت منذ أول نظرة إليه، والأمر يزداد سوءاً. لكنها تفضل الموت على أن تدعه يعرف ذلك.

ـ «أرجو هذا» واستطاعت أن تمنحه ابتسامة إيجابية رد هو عليها بابتسامة موافقة ملتوية.

«أعلم هذا. والآن...» ودفعها وخرج في أثرها مغلقاً الباب خلفه. «القهوة الثقيلة السوداء أولاً، تمنعنا من أن نسقط نائمين على السيد كاتشوي. وبعد ذلك نتباحث في بعض الأمور قبل وصول السيارة».

لقد تحول إلى أحد ملوك الصناعة مرة أخرى. حتى صوته أصبح

مختلفاً. لكن سعادة كوري كانت بالغة وهي تلمس هذا التغيير. ماكس هانتر، القطب البارز ذو القوة والنفوذ، والملياردير البالغ الثراء، يمكنها التعامل معه، أما ماكس هانتر الرجل فأمر مختلف.

* * *

رغم شكوكها، وجدت كوري أنها استطاعت مواجهة كل ما كان مطلوباً منها بغاية الكفاءة. كانت رحلة السيارة إلى مبنى كاتشوي تجربة بحد ذاتها، فليس لأكثر طرق المدن اليابانية والشوارع والجادات أسماء، باستثناء تلك التي في طوكيو. لكن السائقين يعرفون بالضبط إلى أين يذهبون، وهم يصلون إلى هدفهم بسرعة فائقة.

كان تأثير ماكس بالغاً فيها عندما وصلا إلى «ناغاتاشو». رأته يفهم تماماً مسألة كيفية الانحناء وعمقها تبعاً للسن والمركز وأمور أخرى حساسة، وكان يقودها خلال الاجتماع والاتصالات الاجتماعية بلباقة ودون أي شذوذ عن القواعد وهكذا كان كل شيء سهلاً يسيراً.

كان السيد كاتشوي ومساعده الشخصي يتحدثان الإنكليزية بطلاقة، وقد تصرفا بشهامة في إصرارهما على أن يأكلوا جميعاً في مطعم، بدلاً من أن يعودا إلى الفندق لتناول الطعام. كان المطعم الصغير الفخم، مختصاً بالمأكولات البحرية، وبأطباق صغيرة أخرى تسيل رائحتها اللعاب. وكانت كوري من الإرهاق بحيث تستطيع أن تأكل التراب. وهكذا أخذت تأكل حتى تعبت عضلات خديها من المضغ.

أخذ الرجال الثلاثة يشربون الشراب الياباني التقليدي. لكن كوري طلبت لنفسها مياهاً معدنية. ومع ذلك، عندما غادرا المطعم قبل الحادية عشرة، وصعدا إلى سيارة السيد كاتشوي، الليموزين، شعرت بالدوار.

عند عودتها إلى الفندق، كان رأسها يدور وأعضاؤها بثقل الرصاص، لكنها استطاعت توديع زملائها اليابانيين دون تحقير نفسها، وفي طريقها إلى غرفتها تعثرت وكادت تقع على الأرض.

ـ هل أنت بخير؟

كان ماكس خلفها بخطوة أو اثنتين فأمسك بذراعها على الفور، وعندما نظر إلى وجهها الشاحب وعينيها الغائرتين، شتم بصوت منخفض قبل أن يقول:

ـ كان عليّ أن أدرك قبل الآن، فأنت مرهقة.

كانت تشعر بذلك حقاً. أرادت أن تجيبه بشيء مرح هادىء تختم به السهرة قبل أن تصعد إلى غرفتها لتنهار على سريرها، ومع أن عقلها كان يعلم ما عليها أن تقول، إلا أن لسانها لم يطاوعها على النطق. أخذت تتمتم بشيء غير مفهوم وهي تنظر إلى وجه ماكس. لكنها كانت تحرص على ألا تقع عند قدميه مغمى عليها.

ـ اجلسي هنا دقيقة.

تملكها الذعر وهو يدفعها إلى الجلوس على أحد المقاعد الكبيرة المريحة المجاورة لمصاعد قاعة الاستقبال. ولأنها كانت تشعر بكل ذلك العجز والوهن لم تستطع مقاومته.

سمعته يزعق آمراً أحد الموظفين الذي أقبل مسرعاً ليرى إن كان يمكنه المساعدة. اندفع الشاب إلى المصعد وفتح بابه.

ـ أنا بخير، أرجوك.

وعندما حاولت كوري الوقوف، أخذ ماكس يسب مرة أخرى. وهذه المرة بصوت خافت بطيء النبرات، وقبل أن تدرك ما يحدث، حملها بين ذراعيه وكأنها طفلة، ثم سار بها إلى المصعد.

لا، هذا لا يحدث لها.. ولكن التفكير شيء، والواقع شيء آخر. كانت محمولة فعلاً بين ذراعين قويتين تضمانها إلى صدر قوي، بينما وجهها مدفون في كتفه.

حسناً.. سبق أن تساءلت عما ستكون عليه مشاعرها وهي بين ذراعيه.. كانت من التعب بحيث لم تحاول إنكار الحقيقة. منذ أول يوم لها في المكتب، أخذت تتساءل عن ذلك، وازدادت تساؤلاتها عندما أخذ الإعجاب يتملكها بسبب تطبيقه القاسي للعدالة والصواب، وبسبب ذكائه

المرهف الحاد، هذا عدا صفاته الجسدية الرائعة وهو ما تشهد له به أصوات النساء اللاتي يزرنه في المكتب. لا بد أن لديه صديقة جديدة في كل يوم من أيام الأسبوع.

ضايقتها الفكرة الأخيرة. وعندما أخذت تتململ وتتلوّى قليلاً، أمرها صوت حازم ألا تتحرك، فاستجمعت شجاعتها لترفع رأسها معترضة:

ـ أنا بخير الآن، وبت قادرة تماماً على السير.

تقابلت عيناه اللاذعتان الذهبيتان بعينيها الخضراوين المرتبكتين، وعندما لاحظ ارتباكها، رقّت لهجته قليلاً، فقال بنفاد صبر:

ـ أنت لست بخير، وأنا لا أريد أن ألتقطك عن الأرض.. فاستريحي، هيا.. يا فتاتي الطيبة.

ـ أرجوك يا ماكس، أنت تحرجني، يمكنني...

ـ أنا أعني ما أقول، كوري.

قال ذلك بحزم. لكن فكرة أن تستريح وهي بين ذراعي ماكس كانت فكرة سخيفة. كان وجهه القوي الملامح على بعد سنتمترات من وجهها. وتمنت ألا يشعر بالرجفة التي تملكتها.

ـ قلت لك استريحي كوري، فما كنت لأحاول انتهاز وضعك هذا إذا كان هذا ما يزعجك.. أنت سكرتيرتي، ونحن هنا في رحلة عمل.

أعرف، أعرف.. كانت صرخة صامتة باكية من أعماقها. لم يمض شهران بعد على معرفتها بهذا الرجل، ومع ذلك قلب مشاعرها رأساً على عقب، الحمد لله أنه لا يعرف ما تشعر به نحوه.. سحبت نفساً عميقاً، داعية الله أن يمنحها الهدوء. لأنها ستموت ذلاً إذا ما تكهن بمشاعرها.. ستموت فعلاً.

عندما توقف بهما المصعد، سار بها إلى باب غرفتها. حينئذ فقط جرؤت على فتح عينيها، وفي نفسها دافع قوي يدفعها إلى معانقته.

ـ «شكراً» كانت مسرورة لهدوء صوتها.

أجاب بجفاء: «بكل سرور. أعطيني مفتاحك».

www.elromancia.com

ـ لا حاجة لذلك، صدقني. يمكنني التصرف.

فقال بضيق: «مفتاحك، يا كوري، الآن».

أعطته المفتاح، وعندما حملها مرة أخرى وسار بها إلى سريرها، شعرت بجسمها يضطرم حرارة.

ـ حسناً، والآن سأتركك في السرير ولا أريد منك أن تسيري إلا بعد أن يريحك النوم من بعض هذا الإرهاق. إذا لم تعديني بذلك، فسأجلس بجانب فراشك طوال الليل.

حدقت كوري إليه بعدم تصديق فقد فاجأها كلياً عزمه الهادئ هذا، ففتحت فمها ذاهلة حائرة، قبل أن تومئ برأسها:

ـ لن أتحرك.

أضاف يقول:

ـ أتريدين أن تذهبي إلى الحمام قبل أن أذهب؟

كانت ملامحه جامدة لكنها لمحت في أعماق عينيه الذهبيتين ومضة تسلية.

ـ لن تدخل معي إلى هناك.

اندفعت تقول ذلك مذعورة قبل أن تتمكن من منع نفسها، ولكن سرعان ما توهج وجهها خجلاً.

ظنت أنها لاحظت فمه يرتجف قليلاً، لكنه لم يكن يبتسم عندما قال بصوت ناعم:

ـ خدماتي لك تتوقف عند الباب فقط.

ـ آه! حسناً. لست بحاجة لذلك على كل حال.

لماذا يجعلها دوماً تشعر بالسذاجة؟ لم يحدث لها ذلك مع أي شخص آخر.

عندما انحنى ببطء يخلع حذاءها من قدميها واحداً بعد الآخر، شعرت بحرارة تسري في كيانها. وعندما جلس على حافة السرير وأخذ يدلك قدميها وكاحلها المتورّم، شعرت بقشعريرة.

قال عابساً وهو ينظر إلى كعب حذائها العالي الأنيق الذي كلفها ثمنه مبلغاً باهظاً:

ـ كان عليك أن تلبسي حذاءً مريحاً من أجل عصر هذا اليوم، فالرحلة الطويلة التي قمنا بها من انكلترا تسبب دوماً تورماً في القدمين.

ـ قدماي بأحسن حال.

وعندما رفع حاجبيه ساخراً، ناظراً إلى الكاحل المتورم بين أصابعه، والذي كان يمسّده، سارعت تقول:

ـ آه، ستكونان بخير غداً.

حاولت أن تبعد قدميها عنه، لم تحلم قط من قبل بأن تكون في مثل هذا الوضع العاجز مع ماكس. لأنها لا تثق بنفسها أو بمشاعرها، لم تجرؤ على القيام بأي شيء قد يجعل هذا الرجل البالغ الفطنة والدهاء يشتبه في أنها لا تعتبره سوى مخدومها.

ما الذي كانت ستفعله لو كان مخدومها السابق، السيد ستانلي، هو الذي يمسّد قدميها؟ أخذت تسأل نفسها هذا، لكن الفكرة كانت من السخافة بحيث نبذتها من ذهنها.

قال بعد أن انتهى من تدليك القدم الأولى، وبدأ بالثانية.

ـ أريد منك أن تتأخري في النوم صباح الغد.. لديّ اجتماع في التاسعة، لكنني لن أكون بحاجة إليك فيه. لكن الاجتماع الذي سنعقده في «مجمّع ساتو» مع السيد كاتشوي، الساعة الثالثة سيكون طويلاً معقداً، وأريدك أثناءه نشيطة منتعشة.

نظرت كوري إليه ساخطة:

ـ سأكون نشيطة منتعشة الساعة التاسعة.

هل كان سيستغني عن جيليان في اجتماع التاسعة؟ إنها تشكّ في ذلك كثيراً..

تأملها بجفاء، مائلاً برأسه إلى جانب، ولكن أصابعه ظلت تقوم بالتمسيد، ثم قال ساخراً وعيناه تلمعان:

www.elromancia.com

ـ أنا لا أنتقد كفاءتك. كما أنني ما كنت لأطلب من جيليان أن ترافقني في الصباح، هي أيضاً. كنت تتساءلين عن هذا، أليس كذلك؟

أجابت بسرعة تكذب، بينما قلبها يخفق:

ـ لا، على الإطلاق.

لقد قرأ أفكارها مرة أخرى، وهذا يتكرر كثيراً مما يمنعها من الشعور بالراحة.

ـ يا للكذابة الصغيرة.

وضع قدمها على الغطاء وهبّ واقفاً فجأة، فشعرت كوري بالوحشة:

ـ أنت لا تحسنين الكذب، يا كوري، بعكس أكثر بنات جنسك.. أتعلمين هذا؟

تملكها الذعر عندما كف قلبها لحظة عن الخفقان لأنها ظنت أنه تكهّن بنوع شعورها، ثم عادت خفقات قلبها تتسارع عندما تابع يقول:

ـ أعرف أنك متلهفة لإثبات ذاتك، لكنك ما كنت لتكوني هنا لو كان لديّ أقل ذرة من الشك في كفاءتك، صدقيني. فأنا لا أخطئ أبداً.

ـ أبداً؟

لم تعجبها عودة الغطرسة إلى صوته، لكنها هدّأت على الأقل من مشاعرها.

ـ «أبداً» قال ذلك بهدوء وحزم.

ـ يا لك من محظوظ! لا بد أن السير في طريق الحياة دون ارتكاب أي خطأ، هو شيء رائع، بعكس سائر البشر.

ـ أنا لم أقل إنني لم أرتكب خطأً قط، قلت فقط إنني لا أفعل الآن.

قال ذلك وهو يستدير ليخرج. لكن فضولاً قوياً دفعها لتجاهل ذلك وهي تقول:

ـ لا بد أن أخطاءك كانت شنيعة للغاية حتى أصبحت على هذه الدرجة من الحذر.

أخذ يتأملها حوالى نصف دقيقة دون أن ينطق بكلمة، ثم قال ببطء من

غير أن يبدو على ملامحه أي شعور:

ـ إذا كنت تسمّين قيادة شابة بريئة إلى الموت، والسماح لامرأة أخرى كانت تستغل عقلها المريض وجمال جسدها في سبيل الشر وتحويل الأبيض إلى أسود، إذا كنت تسمّين ذلك خطأً شنيعاً، إذن ربما أنت على صواب.

ـ ما.. ماذا؟ لا... لا أفهم، لا أفهم ما تعنيه.

قالت كوري ذلك متلعثمة، مذهولة من المرارة التي أحالت لون عينيه الذهبي إلى لون الصدأ الداكن، مخالفاً تماماً صوته الجامد التعبير.

سمّر عينيه عليها لحظة طويلة، ثم هز رأسه فجأة وقال بصوت خشن وقد صفا لون عينيه:

ـ المعذرة. ما كان لي أن أتحدث عن هذا الأمر. ليس من سبب يجعلك تفهمين، حدث ذلك منذ زمن طويل والأفضل نسيانه.

نسيانه؟ حاولت كوري أن تقول شيئاً، لكن النظرة التي بدت في عينيه جمّدت تفكيرها وأذهلتها عن كل شيء.

نظر ماكس إلى وجهها الشاحب المنزعج لحظة قبل أن يقول بصوت أصبح ساخراً الآن:

ـ كما قلت لك، انسي هذا، يا كوري، فكلنا نرتكب أخطاء. ألم تتعرضي أنت للهجران من ذلك الشاب ڤيڤيان الذي دفعك إلى الهرب بعد أن علقك طوال سنوات؟

شهقت، بشكل لاإرادي، والتهبت وجنتاها لجرأته. كانت تفتش في ذهنها عن الجواب المناسب، عندما انحنى يلمس شفتها السفلى بإصبعه ثم يرتد خارجاً من الغرفة بصمت.

***

٤ ـ السحر المخادع

بعد خروج ماكس، كانت كوري في حالة توقعت معها أن تبقى مستيقظة ساعات، ولكن لا بد أنها استسلمت للنوم على الفور، لأنها لم تنتبه إلا وأوائل خيوط الفجر تنساب إلى الغرفة. فاستيقظت وهي ترى نفسها راقدة بملابسها على أغطية السرير، تشعر بالبرد.

نهضت بحذر، مسرورة وهي ترى الضعف والدوار قد تلاشيا. خلعت ثيابها بسرعة، واستحمت ثم ارتدت قميص نوم وعادت إلى سريرها تندس بين الأغطية، واستسلمت للنوم حالما وضعت رأسها على الوسادة.

عندما فتحت عينيها مرة أخرى، كانت الشمس في قبة السماء ترسل أشعتها من خلال الستائر المفتوحة، وعندما نظرت إلى الساعة، لم تصدق أن الوقت كان ظهراً. لقد نامت أكثر من اثنتي عشرة ساعة، لكن الراحة جعلتها تشعر بتحسن كبير. ألقت بالأغطية عنها ثم أخذت تتمطى كالقطة، قبل أن تدخل إلى الحمام وتملأ «البانيو» بمياه معطرة.

كانت قد خرجت لتوها من الحمّام، مرتدية معطف حمام قصير أبيض، وشعرها المبتل منسدل على كتفيها، عندما قُرع الباب فقفزت من مكانها.

ماكس؟ ووقفت في منتصف الغرفة والذعر يتملكها. ولكن عندما عاد القرع، سارت إلى الباب تفتحه جزئياً.

ـ «صباح الخير» كانت التحية جافة باردة تماماً.

كان في مزاج العمل، يبدو تماماً كملوك الصناعة هدوءاً وبرودة. كما

كان يبدو رائعاً للغاية بقميصه الأخضر وربطة عنقه الرمادية والخضراء المتلائمين مع لون البذلة الرمادي، كان ملقياً بالسترة على إحدى كتفيه العريضتين، ولم تضطرب نظراته الهادئة وهو يراها في معطف الحمام.

ولكن، لماذا تضطرب نظراته وهي لا تعني له أكثر مما تعني شطيرة بندورة؟ خصوصاً وشعرها أشبه بأذناب الفئران ووجهها خال من الزينة.

قالت مبتسمة:

ـ أنا أرتدي ثيابي.. لقد اعتمدت نصيحتك وتأخرت في النهوض. سأكون جاهزة بعد عشر دقائق.

أومأ باختصار: «هذا حسن، جئت فقط لأخبرك أنني أمرت أن يكون الغداء جاهزاً في الساعة الواحدة. هل هذا يناسبك؟ ستأتي السيارة لتقلنا للاجتماع في الساعة الثانية، وهذا يمنحنا وقتاً كافياً».

ـ هذا حسن، شكراً.

شعرت كوري بالوحشة والإهمال، لا تعرف لماذا تشعر بهذا.. فازداد انزعاجها.

ـ إذن، أعود بعد خمس وعشرين دقيقة؟

قال ذلك ببرودة وهو ينظر في ساعته الذهبية الثمينة.

ـ «عظيم». أجابت بذلك دون أن تبتسم هذه المرة. وكان صوتها بجفاء صوته وهو يستدير مبتعداً دون كلمة أخرى.

لا بد أن اجتماع الصباح لم يكن ناجحاً جداً.

جففت شعرها بسرعة وراحت تفكر في تصرفات ماكس الباردة.. ترى هل السبب أنها لم تكن مستعدة لحضور اجتماع الساعة التاسعة معه. لكنه هو الذي طلب منها عدم الذهاب، وقد أطاعته. هل في ذلك أي خطأ؟ لا، لا يمكن. حدقت إلى عينيها الخضراوين أمام المرآة عدة لحظات، ولكنها ما لبثت أن ذكرت نفسها بأن عليها أن تسرع بارتداء ملابسها قبل عودته.

انتهت من تجفيف شعرها، ووضعت زينة خفيفة على وجهها، ثم

ارتدت ملابس بسيطة إنما أنيقة. كانت تنورتها طويلة تبلغ منتصف ساقها، تحتها دست القميص الذي وضعت فوقه حزاماً عريضاً بلون الحذاء.. وهكذا كانت جاهزة عندما تعالت طرقات ماكس القوية على بابها. فكرت أنها لن تمنحه أبداً سبباً يجعله يفكر في أنها تحاول لفت انتباهه إليها، والثوب الأسود القصير المغري الذي اشترته حديثاً، تحسباً لما قد يحدث، لن يخرج من الخزانة. إنها راضية تماماً بأن يراها مجرد ملحق بالمكتب.. بل وأكثر من راضية.

عندما فتحت الباب، كان متكئاً إلى الجدار المقابل في الممر. ورغم الحديث المتزن الذي كانت تحدث به نفسها أثناء ارتدائها ملابسها، شعرت بقلبها يخفق بعنف وهي تراه يستقيم في وقفته بجسمه الكبير، ماراً بيده على شعره بتكاسل.

قالت بمرح: أكاد أموت جوعاً.

ـ وأنا أيضاً.

بدا أنه استعاد توازنه المعتاد.. أضاف وقد ضاقت عيناه:

ـ تبدين باردة كالخيارة ومثالاً للفتاة الإنكليزية بهذه الملابس ومختلفة كل الاختلاف عن أفروديت التي كنتها منذ نصف ساعة.

أفروديت؟

ابتسمت له بأدب ثم أقفلت الباب خلفها وسارت معه نحو المصاعد.

تناولا غداءً خفيفاً، وقبل الساعة الثانية كانا جالسين في الردهة بانتظار السيارة، ومع أن ماكس بقي مسترسلاً في الحديث بطريقته السلسة الفريدة في نوعها، فقد وجدت كوري نفسها تتساءل عما يفكر فيه حقاً، إلى أن التقت نظراتها بنظراته.

كان رجلاً غامضاً، وعندما توقفت سيارة السيد كاتشوي أمام الفندق، نهضا وهذه الفكرة ما تزال في ذهنها. الغموض هو جزء من مغناطيسية ماكس التي تجذب النساء إليه، إلا أن ثمة ما هو أكثر من ذلك. إنها لا تستطيع أن تتصور أن ماكس يمكن أن يكون تافهاً أو صغير العقل.. قد

يكون قاسياً، مناوراً إذا اقتضت الظروف. ولكنه كان على صواب عندما قال الليلة الماضية إن ڤيڤيان دفعها إلى الهرب، ولم تستطع أن تتصور ماكس هانتر ينحط إلى درجة يخرج بها عن الالتزام الأخلاقي فيتصرف بهذا الشكل.

هل معنى هذا أن ڤيڤيان خرج عن الالتزام الأخلاقي؟ ضاقت عيناها إزاء نور الشمس الساطع في الخارج، ولكن عندما دخلت إلى المقعد الخلفي من الليموزين، كان ذهنها ما يزال مشغولاً بهذه الفكرة، وعندما جاءها الجواب اتسعت عيناها الخضراوان. نعم، لقد خرج عن الالتزام الأخلاقي، تملكتها الدهشة. كان دوماً كذلك، لكنها لم تعترف بهذا من قبل، حتى خلال كل تلك السنوات التي كانت تعتني فيها به وترعاه. كان حبها لڤيڤيان... أخذت تفتش عن الكلمة المناسبة ووجدتها.. كان حبها له أخوياً تقريباً في الأعماق، وهذا كل شيء. كان بالنسبة إليها أخاها الأصغر الذي تمنت دوماً الحصول عليه.

حدّقت من النافذة دون أن ترى شيئاً.. ما الذي جعلها تسيء الفهم إلى هذا الحد؟ أخذت تسأل نفسها هذا باستغراب. إنها الآن ممتنة حقاً، فلحسن حظها نجت قبل فوات الأوان، يبدو أن معرفتها لنفسها كانت أقل من معرفتها بڤيڤيان.

ـ... إذا كنت تريدين ذلك.

عادت إلى واقعها لتدرك أن ماكس كان يتحدث دون أن تسمعه. احمر وجهها وقالت بسرعة: «آسفة، كنت مستغرقة في أحلام اليقظة».

ـ «حسناً» كان صوته متوتراً. يبدو أنه لم يعرف نساءً كثيرات ممن يستغرقن في أحلام اليقظة في حضوره.

وتابع: كنت أسألك إذا كنت تحبين زيارة خان ياباني معي هذه الليلة امتدحه أمامي زملائي. إنه يظهر اليابان الحقيقية وهو مختلف كثيراً عن الفنادق الفخمة الغربية الطراز».

نظرت إليه دهشة:

ـ آه! نعم. شكراً لك، ما أجمل هذا! أنا أريد ذلك طبعاً.

ـ اليابان أبعد من أن يأتي إليها الشخص ولا ينتهز فرصة التعرف إلى اللون الشعبي فيها، وبرنامج رحلتنا مخطط ساعة بساعة، لهذا فإن الاستمتاع بهذه الساعات المتوفرة لنا الليلة هو فرصتنا الوحيدة للترفيه عن نفسينا.

أومأت كوري برأسها مرة أخرى. فهي لم تتصور لحظة أنه يقصد بدعوته هذه موعداً غرامياً.

سار الاجتماع سيراً حسناً للغاية، ولكنه لم ينته قبل السابعة تقريباً. وعندما عرض السيد كاتشوي على ماكس سيارته وسائقه لاستخدامهما فترة السهرة رفض ذلك وفضل أن يستقلا تاكسي إلى «أكاساكا» جنوب غرب المدينة. كان زميل ماكس أعطاه خريطة واضحة للمنطقة أوضح عليها المكان الذي سيذهبان إليه. وهكذا وصلا إلى الخان الياباني «ريوكان» دون تعب.

ـ هل ملابسي مناسبة؟

بدأت كوري تعجب بالقيم الدينية التي قام عليها المجتمع الياباني. وعندما أنزلهما التاكسي في الشارع الضيق، كاد يفوتها منظر رجل عجوز يرتدي «الكيمونو» الياباني والقبقاب الخشبي، متوجهاً إلى بيته. تملكها الهلع وهي تنظر إلى البناء الجميل أمامها، فسألت ماكس عن ذلك لأنها لا تريد أن تجرح مشاعر أحد.

فقال: أنت رائعة، وأنا جائع جداً.

سارا في طريق مبلط بحجارة مستديرة يؤدي إلى حديقة جميلة تكملها بركة ونافورة، ومنها إلى ردهة جلست فيها تنتظرهما امرأة متوسطة العمر رائعة الجمال. كان ماكس اتصل بهم تليفونياً يبلغهم بموعد وصولهما من مجمع «ساتو». أشارت المرأة مبتسمة إلى زوجين من الخفاف، أحدهما كبير الحجم والثاني صغيره. تبعت كوري ماكس إلى حيث خلعت حذاءها مستبدلة بهما الخفين.

كانت الغرفة التي دخلوا إليها رائعة ببساطتها لكنها صغيرة، وكان واضحاً أنها ليست غرفة طعام.. عندما خلع ماكس خفّيه وهو يدخل في الباب الورقي المفتوح، حذت كوري حذوه.. كانت الأرض مفروشة بحصيرة من قش الأرز المغطاة بصفوف من القصب المتماوج وكانت المائدة المنخفضة محاطة بوسائد. بدا كل شيء منظماً بالغ الجمال ومختلفاً جداً عن طراز الفنادق الغربية المزدحمة.

رفعت كوري عينيها اللتين كانتا تتأملان ما حولها، فرأت ماكس ينظر إلى وجهها المرتبك.

قالت: «لا أفهم. هل سنأكل هنا؟ أين غرفة الطعام؟»

أجاب ماكس بهدوء:

ـ ليس في «ريو كان» غرف طعام، فكل الطعام يؤخذ إلى غرف الخان الخاصة. لماذا تسألين؟ هل من مشكلة؟»

هل من مشكلة؟ هل يتوقع منها حقاً أن تجلس معه على الأرض في هذا المكان الشاعري ثم تشاركه وجبة صغيرة لشخصين، ثم يسألها إن كانت مشكلة؟

وأخيراً، استطاعت أن تقول بابتسامة مشرقة:

ـ لا، لا على الإطلاق، ولكنني لم أتوقع ذلك. هذا كل شيء، الجوّ... ياباني جداً.

فقال برزانة: «نعم، جداً. وبالرغم من الوسائد وأغطية الفراش الموجودة في الخزائن خلف ذلك الباب الورقي.. نحن هنا فقط لتناول العشاء إن أردت أن تعلمي».

ـ لم أكن أتساءل.

كان هذا صحيحاً، ماكس هانتر، المنضبط، الهادئ المتمالك لمشاعره.. ماكس هذا يهتم بفتاة نكرة عديمة الأهمية مثلها، حتى ولو لفترة استراحة؟ هذا غير ممكن.

قال بلهجة بطيئة متكاسلة وقد شبك ذراعيه على صدره وأخذ يحدق

إلى وجهها الملتهب، بشيء من التسلية.

قال: لن تذهبي إلى الجنة أبداً.

كانت الغرفة بديعة سريعة العطب بمدخلها المنخفض الذي كان على ماكس أن ينحني أثناء دخوله، فخانات اليابان وبيوتها لا تبنى لمن يبلغ قرابة المترين طولاً.

ساور كوري الإغراء في أن تدعه يظن ما يريد، لكنها لم تستطع:

ـ لا.. حقاً لم أكن أتساءل.

وواجهته بحزم، ناظرة في عينيه مباشرة دون أن يطرف لها جفن.

ـ لم يخطر ببالي قط أن من الممكن أن تحاول شيئاً من هذا النوع.

ـ «لا؟» لم يساوره شك في أنها كانت تعني ما تقول. حدق إلى وجهها متفحصاً والعبوس يكسو ملامحه:

ـ لا أدري ما إذا كان عليّ أن أعتبر هذا مديحاً أم إهانة.

قال هذا بلهجة لاذعة دلت على أنه كان يشير إلى الصفة الأخيرة.

فقالت بسرعة: «آه، لا! لم أكن أعني الأمر بهذا الشكل فأنا أعرف أنك تحب النساء! أعني.. أنا واثقة أن حياتك الجنسية... لم أظن...».

وسكتت فجأة وقد انتبهت إلى أنها كانت تحفر حفرة لنفسها..

ـ لم أكن أعنيه بهذا الشكل..

فقال برقة:

ـ إذن فنحن متفقان على أنني رجل طبيعي ذو مشاعر طبيعية.. وما دام الأمر كذلك فلماذا لا يمكن التفكير في أن ميولي قد تكون أقل طهارة هذا المساء..؟

ما الذي جعلها توقع نفسها في هذه الورطة؟ أخذت تحدق إليه صامتة، عاجزة عن الإفصاح عن نفسها. كانت خفقات قلبها تتسارع بعنف، لا بد أنه لاحظ اضطرابها لأنه أشار إلى إحدى الوسائد وقال بصوت رقيق:

ـ إجلسي قبل أن تسقطي على الأرض، يا امرأة. أنا لا أحاول أن أتشاجر معك.

وفي هذه اللحظة دخلت الخادمة تحمل إناءً يحتوي على مناشف في سلة صغيرة من الخيزران.

عندما جلس ماكس بجانبها على الأرض، مظهراً براعة غريبة في تناول الطعام على الطريقة اليابانية المعقدة، قال لها:

ـ بعد أن تمسحي يديك بالمنشفة، اطوي المنشفة مرة أخرى واحفظيها لتستعمليها فوطة عند تناول الطعام.

أومأت كوري وهي تشعر بالارتباك أمام الخادمة لعدم معرفتها بعادات أهل البلاد، وهذا الشعور دفعها إلى القول دون تفكير:

ـ سنأكل بمفردنا، أليس كذلك؟

سألها برقة وعيناه تلمعان: «هل تفضلين ذلك؟»

ـ نعم. لا أريد أن أجرح مشاعرها بعدم معرفتي بتقاليد بلدها.

ـ لن تجرحي مشاعرها، كوري. ولكن إذا أردت أن تريحي نفسك أكثر..

وأخذ يتكلم مع الخادمة باليابانية، فنهضت برشاقة، ثم انحنت باحترام وخرجت. ولكن كوري ما لبثت أن ندمت لتسرعها بهذا القول، فبهذا أصبحا منفردين.. أتراه يظن... ونظرت إليه من تحت أهدابها.. لا، لا يمكن أن يظن شيئاً طبعاً... أخذت تطمئن نفسها بذلك. لم يحدث قط أن ألمحت إليه بشيء من قبل، وإنما العكس، فهو يراها بجاذبية لوح الخشب.

ـ «والآن...» وأخذ ماكس يتأملها بإمعان. كان قد خلع سترته وربطة عنقه وفك أزرار قميصه العليا، ثم تابع يقول:

ـ ماذا كنا نقول؟ آه، نعم! كنت على وشك أن تقولي لماذا لا يعقل أن تكون لديّ دوافع خفية تجعلني أستمتع فترة بعيداً عن سباق الحياة المحموم.

حدقت كوري إليه وقد تملكها الغضب؛ الغضب لأنه كان يستمتع بهذا القول، الغضب لأنه أحرجها بهذا المنطق. لكن الذي أغضبها أكثر من أي شيء آخر هو أنها تراه، رغم كل هذا، جذاباً للغاية. كان هذا منها غباءً مطلقاً، فقد كانت تكره أخلاقه، طراز حياته، وموقفه من النساء. ولكن من ناحية جاذبيته..

والتهبت شوقاً إليه، لكنها تمكنت أن تقول له بلهجة هادئة عقلانية والبراءة في عينيها:

ـ لأنك رئيسي في العمل، طبعاً.. تعلم أنه لا يمكنني أن أعتبرك سوى زميل في العمل. وهذا جوهر النجاح في أي علاقة عمل. أليس كذلك؟

استمع إليها بجمود، لكنها شعرت بجسمه يتصلب، خصوصاً عندما تابعت تقول ببشاشة:

ـ وطبعاً، أنت رجل بالغ الخبرة، ورأيت من العالم أكثر مما رأيت أنا. وأنا واثقة أن عالمي يختلف عن عالمك اختلاف الجبن عن الطباشير! لا شيء يجمع بيننا.. لا شيء على الإطلاق! كما لا يمكنني أبداً استساغة تلك العلاقات العابرة التي يتقبلها سكان المدن. ذلك أن عقليتي لا تتقبلها.

أنهت قولها هذا وهي تبتسم بعذوبة. ساد صمت طويل مشحون.. ثم رأته يأخذ نفساً طويلاً:

ـ «تماماً». كلمة رقيقة ناعمة تبطن صلابة الفولاذ ولا أثر فيها لغطرسته السابقة.

(إذا كنت لا تحتمل الحرارة، فلا تدخل إلى المطبخ) إنه مثلٌ اعتادت أمها ترديده وهو مناسب الآن. قد تكون بنظره قروية ساذجة من أعماق يوركشاير، ولكن لها عقلها الخاص وهي ليست خائفة من استعماله. كيف يجرؤ على الضحك معها ومعاملتها كما يعامل كلباً صغيراً لطيفاً؟

عندما حضر الطعام، كان لذيذاً.. وهو عبارة عن سمك مقلي وحساء

خضر أضيفت إليه البهارات والأرز المطهو على الطريقة اليابانية.

أخبرها ماكس أن الأرز يؤكل بحمل الصحن قريباً من الفم، ثم تناول حبات الأرز بالعيدان.

شعرت كوري في نهاية الوجبة بشبع مريح، وبأن كل تلك المضايقات التافهة وآلام واضطرابات الإثني عشر شهراً الماضية قد تبدّدت وتلاشت.

بشكل ما، كان ماكس قد اقترب منها حتى أصبحت كتفها تلامس كتفه. لكن بدا لها من سوء السلوك البالغ أن تبتعد عنه... أيّ نوع من النساء يفضل؟ أخذت تتأمله من بين أهدابها. أتراه يفضل الشقراء الهادئة المجربة؟ أم السمراء العاطفية؟ أم ذات الشعر الأحمر المتقلبة المليئة بالحيوية؟ ربما يحبهن جميعاً.. وقلبت شفتيها بجفاء.

جيليان أخبرتها أن صديقاته كثيرات، لكن أياً منهن لا تبقى معه أكثر من أشهر قليلة على الأكثر. وكان عدم الرضا بادياً في صوتها وهي تقول:

ـ كانت معاملته لهن جيدة، فهو يدللهن إلى حدّ الإفساد، ثم يقول وداعاً بكل ظرف وكرم. هذه هي طريقة ماكس.

يومذاك سألتها كوري بذهول: ألا يتألمن لذلك؟

ردت جيليان بهدوء: ماكس يختار من النساء من يناسبهن هذه المعاملة. إنه لا يبحث عن علاقة عاطفية ونساؤه مثله. فطريقة حياته سريعة عنيفة والعمل يملأ حياته. كل طاقاته والتزاماته يغرقها في «شركة هانتر». وعندما يريد أن يستريح، يطلب المتعة دون أي روابط أو التزام. هذا هو طبعه، وهذا هو ماكس.

حينذاك غيرت جيليان الموضوع وكأنها ندمت على ثرثرتها هذه. لكن كوري شعرت بأنه ما زال هناك الكثير لم تقله، وقد تأكدت أكثر بعد ذلك الحديث المزعج الذي دار بينها وبين ماكس الليلة قبل الماضية التي أتى بها على ذكر (الأخطاء) المفجعة.. والتي يبدو أنها ما زالت تؤثر فيه بشكل بالغ رغم إنكاره لهذا. بقيت هذه الأفكار تعتمل في ذهنها، تزعجها طوال الوقت. ليس معقولاً أن يكون مسؤولاً عن موت امرأة...

ـ الطعام كان لذيذاً.

نطقت بذلك وهي ترى أن الصمت أصبح متعباً وعليها أن تقطعه. كما أن ماكس استند إليها الآن، مادّاً ساقيه بكل ارتياح.

ـ هذا صحيح، كان رائعاً جداً..

وأمال رأسه ينظر إلى وجهها وهو يقول ذلك.

ـ ما هو ذلك الصوت الذي لم أسمع مثله قط من قبل.

انتبهت منذ دقائق إلى صوت حاد مؤثر وكأنه من غير هذا العالم.

ـ إنه بائع «السوبا» المصنوعة من الشعيرية، وهو يعلن عن وجوده بنفخ المزمار لجذب الزبائن. إنه صوت غير معقول، ولكن الجميع يعرفه.

أثناء كلامه غيّر وضعه، ولأنها تحرص على أن تجعل مسافة بينها وبينه، فقد انتهزت هذه الفرصة لتستقيم في جلستها، عند ذلك سقط دبوس من شعرها كان يثبته، فسقط شعرها على وجهها وكتفيها وكأنه نقاب من الحرير، فصدرت عنها آهة غيظ وانحنت تلتقط الدبوس الذي سقط تحت المائدة. وعندما مدت أصابعها إليه، هتف ماكس بها وهو يضع يده على يدها:

ـ لا تفعلي هذا. دعيه.

أجفلت كوري، وحبست أنفاسها حتى عاد إلى جلسته السابقة وهو يقول مازحاً:

ـ منذ ستة أسابيع وأنا أتساءل عن شكل شعرك عندما يكون مسترسلاً، وهاقد رأيته الآن. من الإجرام ألا يظهر مثل هذا الجمال.

ـ أفضّل أن أجعله بهذا الطراز من أجل المكتب، الشعر الطويل يعيق العمل.

قال برقة بالغة: لسنا في المكتب الآن.

شعرت، والألم يتملكها، بأن شيئاً قد تغيّر... شيئاً يجعلها تشعر بقشعريرة في جسمها.

أدركت أنه سيعانقها، كما أدركت أن من قمة الحماقة أن تسمح له بذلك، ولكن ما أن أخذت تحدّق إلى عينيه الذهبيتين اللتين كانتا تقتربان منها.. حتى تسمّرت عيناها الخضراوان فيهما، وشعرت بالشلل يكتسح جسدها.

وعندما عانقها كادت تغيب عن الوجود. في البداية كان عناقه دافئاً ثم ما لبث أن أصبح أعمق فشعرت بأنها عاجزة عن الحركة ولكنها لم تتصور قط أن عناقاً مهما كان يقدر أن يقلب كيانها بهذا الشكل وإلى هذا الحد الغريب. كان ماكس يعرف كيف يعانقها وكيف يستجلب منها الرد. إذن فهذا ما كانت النساء الأخريات يستمتعن به، ولكن كيف يمكن لامرأة جرّبت حبه، أن ترضى بأيّ رجل آخر؟

أغمضت عينيها تفكر كيف استطاع أن يوقظ فيها هذه المشاعر الهاجعة. وعندما شعرت بأن هذا الرجل يكاد يفتتها ويسحقها قررت المقاومة ولكنها لم تستطع شيئاً.

تمتم وهو يعانقها مرة أخرى:

ـ يا لروعة جمالك!.. أتعلمين أن بشرتك شفافة؟ لم أر مثل رقتك هذه قط، ولا مثل شعرك الحريري هذا.

فقدت كوري كل فكرة عن الوقت وكل ذرة مما تملك من عقل. كانت في عالم آخر ملؤه الحب والمشاعر المتدفقة. ولكنه كان بالغ السيطرة على نفسه.

عاد يعانقها مجدداً بشغف ونشوة وعنف وسيطرة بحيث لم تستطع حتى تجربة مقاومته فقد فقدت القدرة على ضبط نفسها خاصة وهي تسمع خفقات قلبه تدق كالمطرقة تحت يدها.. في هذه اللحظة أدركت إلى أي حد كانت مستسلمة لعناقه وما زالت تسمع حتى الآن دوي قلبها العاصف وتشعر بتهدج أنفاسها.

لم تتصوّر قط أنها قد تشعر بمثل هذه الأحاسيس التي تملكتها بقربه..

قال: «كوري، أنا آسف. ما كان لي أن أفعل هذا».

مضت لحظة لم تستطع فيها أن تصدق ما يقوله.. وشعرت بالمذلة وخيبة الأمل.

لو كانت نظرت إليه في تلك اللحظة، لرأت، في عينيه الرائعتين من الاضطراب ما يمكن أن يخفف من ارتباكها.

وعندما نظرت إليه أخيراً، كان الجمود عاد إلى وجهه وهو يكرر قائلاً بهدوء:

ـ ما كان لي أن أفعل هذا، لا عذر لي سوى سحر هذا المكان.

تمنت الموت لشعورها بالعار والحقارة لاستسلامها لعناقه بهذه السهولة، وتمنت أن تصرخ في وجهه بكل الشتائم الوضيعة التي تعرفها، وأن تخبره بأنها تحتقره وتشمئز منه، ولكن هذا كان سيجعل الأمور أسوأ مما هي عليه. الواقع أنه هو من مال نحوها وعانقها، فتجاوبت معه. كان عليها أن تتلقى عناقه الأول ببساطة ثم تبتعد عنه وينتهي الأمر. سبق أن أخبرها أن آخر ما يريده هو أن تمتلك سكرتيرته مشاعر عاطفية نحوه. ولكنه كان رجلاً مجرباً خبيراً والعناق لا يعني شيئاً لرجل مثله.

استجمعت شتات نفسها فاستطاعت أن تقول باسمة:

ـ نعم، سحر المكان.. لو علمت أن هذا السحر سيؤثر فيّ لما جئت.

فقال ببساطة: «نعم، هو مكان خادع مضلّل».

كرهت منه سرعة سيطرته على مشاعره. وسألت نفسها بمرارة، كيف أمكنها أن تتصرف بمثل هذا الغباء والطيش؟

بقيا في الخان حوالى ثلث ساعة أخرى كانت بمثابة أربع وعشرين ساعة من العذاب بالنسبة إلى كوري. لم تجرؤ على محاولة رفع شعرها وتثبيته فوق قمة رأسها، فقد خشيت أن يلاحظ ارتجاف يديها.

عندما كانا عائدين إلى الفندق، بدا ماكس طبيعياً، أما هي فكافحت ليبقى الحديث الدائر بينهما طبيعياً.. ولكن هذا كان صعباً. فمشاعرها لم تستطع أن تتخلص من تأثير ذلك العناق.

أدركت أن العناق لم يعن له شيئاً لأنه اعتبره غلطة واعتذر عنه منذ اللحظة التي أطلقها فيها من بين ذراعيه. وما كان ماكس هانتر ليضيّع وقته على شيء تافه. أخذت تحدث نفسها بذلك بمرارة والتاكسي يتجه بهما إلى فندقهما. يا له من وحش بارد عديم الإحساس! ألقت عليه نظرة جانبية فرأت ذلك الوجه القوي الصلب هادئاً ومرتاحاً تماماً. لم تستطع أن تتصور أن هناك امرأة تتمنى علاقة معه.. سواء أكانت بنفس صفاته وطبعه البارد أم لا. الحمد لله أنه توقف قبل أن يحدث أيّ ضرر. لقد كان عناقاً وهذا كل شيء، يكفي أن هذا العناق نبهها إلى أيّ نوع من الرجال هو. إنها مسرورة لحدوث هذا الأمر، وقد يكون هذا، على المدى الطويل أفضل الأمور.

ظلت تكذب على نفسها وتتهمها لعلها تمدها بالقوة.. أخيراً عندما أصبحا أمام بابها قالت: «تصبح على خير» بسرعة وبرودة بالغين. ثم لجأت إلى غرفتها الآمنة.

جلست على حافة سريرها لمدة عشر دقائق جامدة وعقلها يستعيد كل كلمة، كل نظرة، كل إشارة ذات معنى تبادلاها، إلى أن انهارت على وسائدها وهي تتنهد بيأس. يا لها من ورطة! ورطة بالغة. لقد ثارت مشاعره هناك في ذلك الخان، واحمر وجهها وهي تتذكر نفسها بين ذراعيه، ولكن أي رجل لا يتصرف مثله عندما تُقدَّم إليه العفّة على طبق؟

لا، لا. إنها لم تكن سيئة بذلك الشكل.. لا.. لم تكن.. ونهضت واقفة. لربما أدهشته ردة فعلها إزاء ما لا يعتبره أكثر من عناق عابر، إلا أن رجلاً بمثل حنكته كان عليه أن يمسك نفسه قبل أن تبلغ بهما الأمور هذا الحد. الذنب إذن لم يكن ذنبها وحدها، وأومأت لنفسها بحزم.

خلعت ثيابها ثم اغتسلت. بقيت في المياه الدافئة المعطرة إلى أن بردت المياه، ثم لفّت نفسها بمعطف الحمام.

لقد تلقت هذه الليلة درساً لن تنساه أبداً. لن تسمح قط لماكس بعد الآن بأن يعانقها مرة أخرى، وإن كان هذا لا يعني أنه من الحماقة بحيث

www.elromancia.com

يحاول ذلك بعد هذه الليلة. ولكنها لن تسمح له على كل حال، وسرعان ما تنسى شعورها بالمذلة ولا يعود الأمر في نظرها سوى خيط آخر من الخيوط التي تمثل صورة الحياة.

أغمضت عينيها بشدة، ثم فتحتهما لترى سخافة ما كانت تفكر فيه منعكساً في عينيها الخضراوين في المرآة. تنسى ذلك؟ وكيف تنسى؟ ذلك العناق كان أهم ما حدث لها في حياتها، ولكنه نبذ ذلك بنفس السهولة التي يرمي فيها منديلاً.. الآن تمنّت لو أنها لم تتقدم إلى وظيفة سكرتيرة عنده. اغرورقت عيناها بالدموع، فغالبتها بغضب. لكنها سكرتيرته الآن وستكون ناجحة ولو قتلها ذلك.

***

٥ ـ الحب مجرّد وهم

استعدت كوري للنزول لتناول طعام الفطور صباح اليوم التالي ولكنها اهتمت كثيراً بوضع المساحيق على وجهها لتغطي آثار الليلة الماضية التي لم تكد تعرف فيها النوم. ظلت تتقلب في فراشها حتى الساعة الثالثة. عند ذلك نبذت كل تفكير في النوم وبدلاً من تضييع الوقت في التفكير في ما جرى أثناء السهرة مع ماكس، عزمت على أن تستغرق في العمل. نظمت أوراق ملاحظاتها على جهاز الكمبيوتر النقال، ثم طبعت تقريرين ظنت أنهما قد يكونان ضروريين لماكس في اليوم القادم، ثم جمعت كل الوقائع والأرقام التي ناقشاها مع السيد كاتشوي وغيرها حتى الآن.

في السادسة صباحاً اغتسلت ثم استلقت على سريرها ساعة تستجمع فيها شتات نفسها للنهار المقبل، وفي السابعة نهضت وأخذت ترتدي ملابسها. أمضت نصف ساعة تجرب كل قطعة من الملابس التي أحضرتها معها.. وعندما لم يعجبها شيء، أعادت تجربة ما سبق أن جربته حتى تشوّش ذهنها وتملكها التعب.

أرادت أن تبدو هادئة متزنة واثقة من نفسها، إنما بادية الأنوثة والجاذبية.. ولكنها لا تريد أن تظهر متلهفة إلى رجل، أو إلى ماكس هانتر خاصة! فقد يظن بسبب تجاوبها معه البارحة أنها ترتدي الملابس المميزة لتجذبه.. تململت أمام المرآة، ثم تأوهت من أعماقها، ثم ألقت نظرة على كومة الملابس على السرير. آه، ما أسخف هذا! حملت منها ملء ذراعيها ووضعته في الخزانة بسرعة متوحشة، قبل أن ترتدي تنورة رمادية

www.elromancia.com

بسيطة وبلوزة بيضاء وحذاءً أبيض عالي الكعب، ووضعت في أذنيها قرطين أبيضين بشكل أقحوانتين، فبدا مظهرها عملياً ومتحفظاً للغاية.

أخفت زينة وجهها الظلال تحت عينيها، وضفّرت شعرها على الطريقة الفرنسية، متجاهلة اقتراحه الليلة الماضية عن ضرورة إبراز جماله.

أصبحت مستعدة تماماً. نظرت في ساعتها فوجدت أنه ما زال أمامها عشر دقائق قبل الثامنة والنصف، وهو الوقت الذي ستتناول فيه الفطور مع ماكس. هل ينبغي أن تنزل وتجلس إلى المائدة قبل حضوره؟ إذا بقيت هنا، فلا شك أنه سيقرع بابها وهو في طريقه إلى غرفة الطعام، وربما من الأفضل أن تواجهه في غرفة مزدحمة بالنزلاء على أن يكون ذلك في ممر خالٍ. نعم، هذا ما ستفعله. أسرعت تختطف حقيبة يدها، وما إن فتحت الباب بتوتر، حتى شعرت بالراحة لأنها وجدت الممر خالياً.

كانت كوري جالسة إلى مائدة لاثنين، ترتشف كوباً من عصير البرتقال، وتقضم قطعة من الخبز المحمص. رفعت يدها، لدى دخوله، بحركة عملية، وعندما وصل إلى جانبها، كانت مزهوة بابتسامتها الجامدة، واتزان كلماتها وهي تقول:

ـ صباح الخير ماكس، هل نمت جيداً؟

ـ جيداً جداً، شكراً.

نعم، هذا ما كان يبدو عليه. فالوجه الأسمر مبتسم وقد بدا عليه الاسترخاء. والجسم الكبير مرتد ملابس غاية في الأناقة كالعادة، وهو يتضح بالهدوء والثقة بالنفس. أرغمت نفسها على القول بابتسامة أكثر إشراقاً من المعتاد:

ـ هذا حسن.

ـ وأنت؟

سألها ذلك ببساطة والنادل يقترب منه، فأجابت:

ـ في أحسن حال. شكراً.

عندما تلقى النادل أوامر ماكس، أشارت كوري إلى ملف الأوراق على المائدة:

ـ رأيت أن جمع الوقائع والأرقام على الورق قد يكون فكرة صائبة، وهكذا دوّنت بسرعة بعض الأشياء قبل أن أنزل إلى غرفة الطعام.

حسناً، هذا ليس كذباً. الثالثة صباحاً كانت فعلاً قبل الفطور.

ناولته التقريرين أثناء كلامها، ثم شغلت نفسها بسكب كوبين من القهوة، مسرورة لانشغالها بذلك عن النظر إلى ماكس.

نظر إلى الطباعة الأنيقة، ثم رفع عينيه إلى وجهها قائلاً: «عمل ممتاز».

نعم، إنه عمل ممتاز، أيها القاسي العديم الإحساس.

بقيت فكرتها هذه عنه معها بقية النهار... أو، على الأقل، كانت صفات القاسي العديم الإحساس جزءاً من تلك الفكرة. وعندما عادا إلى الفندق لتناول العشاء، كانت كوري من الوهن بحيث لا تصلح لشيء.

ومع ذلك، استعدت للعشاء وكأنه بأهمية مناورات في مخيم للجيش... وهذا لم يكن بعيداً عن الحقيقة. بعد «دوش» دافيء وتبديل الملابس، نزلت إلى أسفل لتناول كأس من الكوكتيل وكأن لا شيء يشغل بالها في العالم..

قبل أن يعيدها إلى غرفتها في العاشرة مساء، كانت قد أمست تعمل بشكل آلي مرة أخرى. ولكن، ذلك النهار كان مرهقاً بحيث غفت ما إن لامس رأسها الوسادة.

وهكذا كان الأمر في الأيام القليلة التالية.

وجدت الأيام تمرّ بها بسهولة. كان ماكس ملك الصناعة البالغ الحيوية، والكثير المطالب والدوّامة البشرية. لكن الأمسيات كانت شيئاً آخر... في الأمسيات كان من الطبيعي أن يستحيل، أثناء العشاء، إلى ذلك المرافق الرقيق الحريص على الإرضاء. وبالرغم من حديثها المتدفق مع نفسها عندما تضمها غرفتها، كانت المشاعر التي تثيرها في كيانها

www.elromancia.com

جاذبيته الخارقة تؤرقها ليلاً.

لكن تصرفاته كانت صحيحة، طبعاً. معاملته لها، قولاً وعملاً، كانت هي نفسها التي يعامل بها أية امرأة أخرى. كان ظريفاً مهذباً مسلّياً مغازلاً، لكنها، كل ليلة، كانت تزداد انجذاباً إلى تلك المغناطيسية السمراء، كما تزداد غضباً وغيظاً منه، أيضاً.

عندما أقبل آخر صباح لهما في اليابان، كانت كوري على شفير السقوط على ركبتيها. كان هناك الوداع بالانحناء في كل مكان والوداع المطوّل للسيد كاتشوي والآخرين وابتسمت حتى شعرت بألم في خدّيها وتصرفت كما يجب وقالت ما يجب. لقد أعجب بها السيد كاتشوي جداً، أحست بذلك، ومع ذلك فقد تملكتها الدهشة والتأثر عندما قدّم إليها رجل الأعمال الياباني الصلب ذاك، هدية صغيرة عند الفراق، مصحوبة بقدر وافر من المجاملات المعسولة.

ـ لقد حزت نجاحاً باهراً هناك.

قال ماكس ذلك بلهجة الاستحسان والسيارة تسرع بهما في شوارع طوكيو نحو المطار، فابتسمت ابتسامة موجزة قبل أن تقول:

ـ تلك الهدية كانت لطفاً كبيراً منه لم أتوقعه.

قال مشيراً إلى الهدية الصغيرة الملفوفة بالورق على ركبتيها: «إفتحيها».

ـ آه، ما أجملها...

ضمت العلبة الصغيرة تمثالاً صغيراً لهاتشيكو، الكلبة صاحبة القصة وكان مصنوعاً من الفضة، بشكل متقن للغاية. وأما ما كتب على البطاقة المصحوبة به فهو: (يجب أن يكافأ الوفاء دوماً).

لم يعجب كوري تماماً أن تقارن بكلبة، لكنها قبلت المجاملة، وهكذا أطلعت ماكس على البطاقة قائلة:

ـ أليست فائقة الرقة؟

سألها بجفاء: «أتراني أشعر بأن هذه الرسالة موجهة إليّ أنا؟»

أجابت بسرعة: «آه، لا بالطبع».

ـ عجباً.

ونظر إليها بشيء من العبوس لحظة قبل أن يقول وقد شاب صوته شيء لم تستطع فهمه:

ـ وهل تتفقين مع ذلك الرأي النبيل، يا كوري؟

سألته بحذر: «يجب أن يكافأ الوفاء؟ حسناً، في عالم كامل يكون ذلك حسناً جداً، ولكن الأمور لا تنتهي دوماً بهذا الشكل، أليس كذلك؟»

ـ هذا صحيح، في الحقيقة.

فوجئت بجوابه هذا نوعاً ما. ولا بد أن الدهشة ظهرت على وجهها لأنها رأت ماكس يبذل جهداً واضحاً للاسترخاء وهو يقول بصوت أقل تهكماً:

ـ آسف. فأنا تخليت عن شخص بشكل سيء ذات يوم، ثم تعلمت أنه ليس هناك وقت دوماً ليكفّر فيه الإنسان عن غلطته، هذا كل شيء.

ـ هذا حسن.

تأملته كوري وهي تفكر في أن القضية لا تنحصر في كلمة (هذا كل شيء). أسرعت خفقات قلبها وهي تلمح فجأة ماكس هانتر الحقيقي فقد عادت إلى عينيه تلك النظرة التي سبق أن رأتها من قبل تلك الليلة التي تحدث فيها عن تلك المرأة الشابة التي قادها إلى حتفها.

ـ حسناً، كلنا نخطىء.

كان قولها هذا مبتذلاً، لكنها لم تجد شيئاً آخر تقوله.

ـ هذا ما نفعله جميعاً.

في صوته الآن السخرية والاستعلاء، وهذا ما دفعها للقول:

ـ آسفة، ماكس. لم أقصد أن أكون غير مهذبة، لكنني واثقة من أنك تفضل ذلك على أن أوجه إليك أسئلة. فليس من السهل التحدث إليك.

كان التحدث معه أشبه بالسير في حقل ألغام.

قال وهو يستدير ليواجهها:

www.elromancia.com

ـ هل أنا كذلك حقاً؟

رأت أنها جرحته حقاً. لقد اعتاد من المرأة التي ترافقه أن توافقه على كل ما يقوله أو يفعله. فالنساء لا ينتقدن ماكس هانتر العظيم، وإنما يرتمين على قدميه عابدات خاضعات.

ـ إنك الشخص الوحيد الذي يظن ذلك.

قالت كوري بصوت هادىء عذب:

ـ بل ربما أنا الشخص الوحيد الذي (يقول) ذلك.

هزته بكلماتها هذه، وخلق هذا في نفسها شعوراً رائعاً بعد عذاب الليالي التي مضت.

عبس وضاقت عيناه: «اسمعي.. أتظنين حقاً أن الحديث معي صعب؟ أنا واثق من أن جيليان لم تكن ترى ذلك. أظننا كنا نتحدث عن كل شيء».

هزت كوري كتفيها، هذا لأن جيليان لم تكن مفتونة به. لكنها، لم تستطع أن تقول شيئاً.

استمر يتأملها، بينما اندفعت السيارة بسرعة فائقة. عندئذ انبسطت أساريره، وبدا واضحاً أنه وصل إلى قرار ما، إذ عاد يستقر في مقعده مرة أخرى، قائلاً بهدوء:

ـ الفتاة التي تخليت عنها كانت خطيبتي، لقد اعتقدت أن لها علاقة مع شخص آخر ولم أصدق احتجاجها بأنها بريئة.. نبذتها أمام الجميع، ثم أنشأت على الفور علاقة مع أختها التي كانت تلاحقني وتعرض عليّ نفسها على الدوام وأظن سبب إقدامي على ذلك هو إنقاذ كرامتي.

حدّقت كوري إليه مذعورة ولكنها ما لبثت أن تمالكت نفسها وقالت بشيء من الثبات:

ـ وهل أختها هي التي...؟.

فقال عابساً: «هي جعلتني أعتقد ذلك؟ نعم».

ـ وكيف... كيف عرفت الحقيقة؟

ـ بعد أسبوعين من انفصالنا، صدمت خطيبتي جداراً حجرياً.. يومذاك قالت الشرطة إنه حادث. لكن «آن» كانت تعرف شيئاً آخر اعترفت به لي في نوبة تبكيت ضمير سطحية. وبعد أيام أقنعت نفسها بأن «لوريل» ماتت من جراء حادث الاصطدام، لا من جراء الانتحار، ولم تكتف بذلك بل حاولت أن تتراجع عما قالته لي.

سألته كوري بحذر: «لعلها كانت على صواب؟»

ـ كانت «لوريل» سائقة ممتازة. على كل حال، توفي أبي بعد أسابيع بنوبة قلبية فورثت عنه أملاكه، وهكذا لم يبق لي وقت لمزيد من الندم.

لا مزيد من الندم، بينما الندم يهلكه.

ـ ما كان رأي بقية أسرتك في «لوريل»؟

حاولت كوري قول ذلك بلهجة واقعية، لكن صوتها كان بالغ الجفاء. لا بد أن أمه أو شخصاً آخر حاول التخفيف عنه.

قال باختصار: «لم يكن لي أقرباء سوى أبي. لأن أمي توفيت وأنا في الثانية من عمري، وكنت الابن الوحيد، وأبي لم يتزوج مرة أخرى. ولكنه على كل حال، لم يكن يصلح ليكون رب أسرة».

ازداد ذعرها، ولكن معرفتها الآن بماكس جعلتها تعلم أنه لا يحب الشفقة من أحد، ولكن أن لا يعرف أمه أبداً... كل هذا يفسر الكثير.. أن ينشأ دون حنان الأم في فترة نموّه، ثم تتحطم ثقته في حب الأنثى بهذه القسوة.. لا عجب في أن يصبح واقعياً ساخراً بهذا الشكل. وثراؤه ووسامته أمران يدفعان النساء للارتماء عليه بإشارة من أصبعه.

عادت بها ذاكرتها إلى تلك الليلة في الخان الياباني. لا بد أنه ظنها مثل الأخريات، لأنها تصرفت فعلاً مثل الأخريات:

ـ حسناً، أنا أعترف بأن لديك أسباباً تجعلك حذراً من مفهوم الحب والوفاء. لكن ذلك لا يجعلهما أقل صدقاً وواقعية.

قال بتهكم قاطع: «وهل ستتحدثين عن قريتك التي نشأت فيها؟ لأنك، صدقيني، سبق أن فعلت ذلك إلى أقصى حد».

أخذت تحدق إليه بعينين ملتهبتين ثم قالت بحدة:

ـ أحقاً؟ أتراك تكره أن تبدو مخطئاً. أنا أعرف مئات من الأزواج، وأبواي منهم سعداء جداً معاً. آسفة، لكنني لا أظنهم جميعاً على خطأ.

قال ساخراً بلهجة مطاطة: «مئات... أظنك تبالغين، أليس كذلك؟»

ـ وهم أناس حقيقيون. أناس مستعدون للاعتراف بأخطائهم، ثم يتابعون الحياة بدلاً من أن يهربوا منها.

اكتسى وجهه، على الفور، بمسحة من هدوء جامد، وفي نفس الوقت ذكرت كوري نفسها بأنه رئيسها، ومهما أعطاها من حرية الكلام، فقد تخطت الآن حدودها. لكنها لم تشأ أن تتراجع، فليطردها من العمل إن شاء، فهي لن تهتم. إذ أنها مثله يحق لها الافصاح عن رأيها.

ـ يهربوا منها؟ هل هذا الكلام موجّه إليّ؟

سألها ذلك بكبرياء هادئة، بينما بقيت ملامحه على جمودها.

سألته بشدة وهي ترفع رأسها: «ماذا تسمي هذا إذن؟ قلت بنفسك إن تلك المدعوة «آن» هي التي جعلتك تعتقد ذلك. وإذا كنا نصدّق كل كذّاب، فتصرّفك إذن كان مبرّراً في تلك الظروف...».

قال ساخراً: «شكراً».

ـ وهكذا، رغم المأساة التي وقعت، فاللوم لا يقع عليك حقاً لموت «لوريل»، بل على أختها. وعلى كل حال، قد لا يكون ذلك سوى حادث اصطدام حقيقي. لذا لا يمكنك أن تكون واثقاً مئة بالمئة، فما أنت بإله ماكس.

أخذ يحدق إلى العينين الخضراوين الملتهبتين لحظة طويلة، قبل أن يقول بهدوء بالغ:

ـ إذا كنت تحبين شخصاً حباً حقيقياً، ألا ينبغي أن تكون الثقة هي أساس تلك المشاعر؟ ألا ينبغي أن يكون الأساس من حجر؟

بادلته كوري النظر، ثم قالت بحذر: نعم...

وتساءلت عما يقصد بذلك.

ـ ظننت أنني أحببت «لوريل» بجنون.. كنت أريد قضاء بقية حياتي معها... لكنني لم أصدقها عندما قالت إنها غير متورطة بعلاقة مع شخص آخر. نعم، لقد أسهبت «آن» في التلفيق وفي زخرفة أكاذيبها، لكن هذا كان أحد الأسباب التي جعلت لوريل تنفجر في وجهي، عندما كانت تريد إثبات براءتها، وتقول إنني لو كنت أحبها، لو كنت أحبها حقاً، لوثقت بها وصدقتها. وكانت على صواب.

ما يزال للحديث تتمة فانتظرت كوري وعيناها مسمرتان على وجهه الأسمر.

ـ لكنني أبحرت إليها وكأنني على سفينة حربية تطلق جميع مدافعها. أتعلمين لماذا؟ لأن كرامتي جرحت، هذا هو السبب. وإذا شئت أن تحللي الأمور، تجدين ما يسمى حباً قائماً على هذا الأمر. الحب غير موجود، يا كوري. ليس كما جعلنا الشعراء والفنانون نعتقد به، على كل حال. أولئك الأزواج الذين يستمرون في حياتهم الزوجية يجدونها فقط مناسبة لهم، أو لأن لديهم أطفالاً أو لأنهم لم يقابلوا شخصاً يحبونه أكثر... هنالك مليون سبب وسبب لذلك.

رأته كوري يعني كل كلمة مما يقول. وكانت الصدمة هائلة. إنها تحبه.. تحب ماكس هانتر.. وهذا الرجل لا يعرف معنى هذه الكلمة.

ـ ويشهد على ذلك كل حالات الطلاق، فالحب لا يعدو أن يكون اسماً آخر للرغبة. لكن أكثر النساء، وبعض الرجال أيضاً، لا يقبلون تحقيق الرغبة إلا تحت غطاء اسمه الحب. ربما كانوا مقموعين عاطفياً منذ حداثتهم، أو مغسولي الأدمغة، أو ما أشبه، وهذا يحدث طوال الوقت لسوء الحظ.

لم تصدق ذلك! كان ذهنها مشغولاً بحماقتها عن التجاوب مع قوله هذا. لقد أغرمت بهذا الرجل.. هذا الرجل القوي المسيطر البالغ الثراء والجاذبية، الذي لا يحب سوى النساء الجميلات، الثريات والمحنكات ذوات التجارب في الحب.. لهذا لن ينظر أبداً مرتين إلى فتاة مثلها.

عندئذ، وكأنما إثباتاً لخطأها، قال ماكس بصوت أشد سخرية:

ـ خذينا نحن مثلاً، لقد رغبت فيك تلك الليلة في خان «ريو كان»، وكنت أعلم أنك ترغبين في أنت أيضاً. ولكن ذلك ما كان ليعني لنا شيئاً سوى تحقيق متعة قصيرة، ومن المؤكد أنها كانت ستفسد عملنا معاً في المستقبل. فلا ينبغي أن يكون إشباع الغريزة أهم من تناول الطعام معاً أو التحدث في أي موضوع كان. لكن الجنس البشري اعتاد التفكير بشكل آخر.

انتبهت كوري إلى نفسها وقد فتحت فمها كالسمكة، فأقفلته بشيء من الحدة قبل أن ترغم نفسها على القول بصوت مرتجف:

ـ هل... هل تقول إنك لا تؤمن بالحب على الإطلاق؟

تجنبت موضوع رغبة كل منهما في الآخر.

ـ بالضبط.

شعرت كوري بغضب بالغ نحو هذه الثقة البالغة بالنفس، ولكن بجانب ذلك كان إدراكها لقوة سيطرته على مشاعرها، مفزعاً. فقالت بصوت مرتجف:

ـ لا أصدقك.

ـ طبعاً لن تصدقي.. هذا ما كنت أقوله، لقد علموك شيئاً آخر، فأنت ابنة بيئتك، على كل حال.

ـ لم يعلمني أحد شيئاً، بل أنا إنسان طبيعي ومن الطبيعي أن أحب، وأن أكون محبوبة، فالحب هو الغريزة الأساسية وهو أقوى من الشهوة.

ـ لا أتفق معك في ذلك. لكنني أفهم من قولك أن ما شعرت به نحو ڤيڤيان كان الحب وليس الشهوة. والآن، سدّدي لي ما ترينه خطأً من حديثي.. أنا أتذكر أن ذلك الحب العظيم الذي جعلك تهربين إلى لندن، هو نفسه ذلك الحب الذي أصبحت معه، بعد ذلك بعدة أسابيع، غير واثقة مما إذا كنت تريدينه أم لا.

ـ ماذا؟

أخذت تحدق فيه بغضب وقد التهبت وجنتاها. فقال بلهجة الانتصار:

ـ قلت إنك لن تكوني واثقة مما إذا كنت تقبلين العودة إليه، إذا هو عاد إليك خاضعاً نادماً، أليس هذا ما قلت؟ هذا (الشعور الأساسي) إنما هو شيء تافه متقلّب لا يعتمد عليه.

تساءلت كوري بغضب، كيف يحب المرء شخصاً ثم يتمنى تدميره في نفس الوقت.

ـ ولو كنت تحبينه بحسب طريقتك في الحب، لما تجاوبت مع عناقي كما فعلت في الخان. أرأيت؟ الحب لا يمكن أن يصمد أمام الاختبار.

آه، لا. لن تستطيع تحمّل أكثر من ذلك. هذا التيس، هذا المتغطرس! واستجمعت كل ما لديها من إرادة، داعية الله أن يلهمها الصواب في ما تقول، ثم أجابت:

ـ لكنك قلت الآن إن ما شعرنا به كان نزوة حيوانية، ولو استسلمت لك، لكان هذا أشبه بتناول شطيرة تغريني، وما كان ذلك ليأخذ شيئاً من شعوري نحو ڤيڤيان لأنه غير بالغ الأهمية.

لم تحلم كوري قط أن ترى ماكس عاجزاً عن الجواب بهذا الشكل. آه، ما أجمل هذا!

لكن بهجتها لم تطل وهو يقول:

ـ كوري، إذا عانقتك فلن يكون ذلك أبداً أشبه بأكل شطيرة أو ما أشبه.

نظرت إليه بحذر، كان مجنوناً.. آه! أتراه مجنوناً؟

تابع يقول بلطف:

ـ وإذا كان ذلك تحدياً، يمكنني أن أذيقك شيئاً على الحساب لإقناعك.

واقترب منها متجاهلاً كلياً ما بدا عليها من الذعر. وبما أنهما في السيارة لم تستطع الهرب.

قالت بسرعة: «لم يكن ذلك تحدياً، أنت الذي قلت...».

ضاعت بقية كلماتها في عناق بدّد منها الحواس.

ورغم كل ما قالته، تلقت عناقه كما تتلقى الأرض الجافة المطر. كان رجلاً بالغ الخبرة وكانت تعرف ذلك وكان رائعاً.

لكنهما في تاكسي عام يسير بهما نحو المطار. وكأن نفس الفكرة خطرت لماكس لأنه أطلقها للتوّ وعاد إلى جلسته في الجانب الآخر من المقعد، وهو يتأملها وقد ضاقت عيناه:

ـ والآن، أخبريني هل للشطيرة مثل هذا الفعل؟

كانت تحب أن ترد عليه بجواب يسمّره في مكانه، لكن لم يكن لدى ماكس مكان. ومع ذلك سوّت ملابسها بعناية، وكانت تريد تسوية شعرها، ولكنها أدركت أن ارتجاف يديها لن يمكّنها من ذلك. وهكذا قالت:

ـ إنها غارة جنسية، وأنت تعلم ذلك.

ـ جنسية..؟ ليس ذلك شيئاً وضيعاً أو قذراً. وأنا لا أعتبره كذلك على الإطلاق. كوني صادقة واعترفي أنك استمتعت بعناقي مثلما استمتعت أنا به.

قالت بحدة: «سواء أستمتعت به أم لم أستمتع، ليس لهذا شأن بالموضوع، فأنا لم أطلب منك معانقتي كما أنني لم أشأ ذلك. هذا هو الموضوع، ثم ماذا تعتبر نفسك، على كل حال؟ معاملتي بمثل ذلك العنف على مقعد في تاكسي ليست فكرتي عن الاستمتاع ماكس هانتر».

ساد صمت عميق، انخفضت أثناءه حرارتها إلى الصفر ونظرت إلى وجهه الغاضب. لقد استعمل معها العنف، وهذا ما لا عذر له.

ـ لا أصدق هذا.

تمتم بذلك غاضباً، ولكن وراء ذلك الغضب صدىً لارتباك بالغ.

ـ أنا واثقة من ذلك. مشكلتك يا ماكس هانتر أنك اعتدت على الحصول على أية امرأة تريدها بمجرد إشارة من إصبعك. وقد تكون سعيداً

تماماً بنوع النساء اللاتي يغيّرن رفيقهن بنفس السرعة التي يغيّرن بها طلاء أظافرهن، ولكن، صدقني أننا لسنا جميعنا كذلك. بعضنا يستخدمن ذكاءهن، وبعضنا يقلن لا، ويعنين ذلك.

ـ أحقاً؟

ـ نعم، حقاً. أنت آخر رجل يمكنني أن أتحداه.

حدثت نفسها بأنها أعقل من أن تفعل ذلك، لسبب واحد فقط وهو أنه ما إن يضع يده عليها حتى تفقد كل مقاومة وتصبح كالعجينة بين يديه.

ساد صمت عميق تكلفت أثناءه كوري جهداً لم تكن تتصوره لتسلخ عينيها عن عينيه وتحدق إلى خارج النافذة بكل ما تمكنت من هدوء.

قد يكون أكثر الرجال الذين عرفتهم جاذبية، والأسوأ أنها غارقة في حب هذا الجرذ رأساً على عقب. ولكن هذا لن يجعلها تسمح له بأن ينتصر عليها.

شعرت بأنها تريد أن ترتمي بين ذراعيه وتعانقه، وتقنعه بأن ما زال هناك نساء شريفات على وجه الأرض. لكن ماكس هانتر لا يهتم بالنساء الشريفات، وآخر ما يريده هو أنثى تخفف عنه وتدلله.

وصل بهما التاكسي إلى المطار وسط جو من الصمت.. لكنها استغلت هذا الوقت لمراجعة أفكارها ومحاسبة نفسها بنزاهة قاسية.

في الحقيقة ليس هو المذنب لأنها وقعت في الحب فقد حذّرها من مغبة ذلك.. لا، الذنب في ذلك ذنبها هي، وليس لها أن تلوم سوى نفسها للمأزق الذي وقعت فيه، كما أن عليها أن تتابع هذه الحرب الكلامية بينهما. وإذا فعلت ذلك فلن تجد سوى نتيجة واحدة، وهي أنه خصم لا يعرف الرحمة.

عندما وقف بهما التاكسي أمام المطار، نظرت إليه من تحت أهدابها، ما عاد بإمكانهما العمل معاً بعد كل هذا. ولكن العودة إلى البيت ستكون كابوساً لها.. أتراه سيطلب منها تقديم استقالتها الآن أم فيما بعد؟ تملكتها التعاسة. لقد فقدت وظيفة خيالية لا تحلم بمثلها، والأسوأ من ذلك مليون

مرة، هو أنها لن تراه بعد ذلك أبداً.

قال لها ساخراً، بعد أن تأملها خفية:

ـ لن آكلك لأنك أبديت رأيك، كوري، وكما أخبرتك في أول يوم جئت فيه للعمل عندي، أنا لا أحب المرأة المملّة. ومهما كنت، فأنت لست كذلك بكل تأكيد.

قابلت نظراته بحذر. لقد علّمتها الأسابيع الماضية أن ماكس يكون في أخطر حالاته عندما يكون هادئاً منطقياً، كما يشهد بذلك أي من زملائه في العمل.

قالت بعد صمت طويل كان أثناءه يتأملها وقد ضاقت عيناه:

ـ ما كان لي أن أقول كل الذي قلته.

سألها برقة وقد ساد الجمود ملامحه: لِمَ لا؟ ألأنك كنت مخطئة؟

ـ لا. لا أظنني كنت مخطئة.

كان ردها هذا عنيفاً سريعاً، أن تأكل فطيرة ذل هو شيء، وأن يكون العشاء كله إذلال، هو شيء آخر.

ـ إذن، أرى أنك تتبعين المثل القائل إن الرئيس دوماً على حق. وقد سبق أن أخبرتك برأيي في هذا المثل، فلا تكوني منافقة كوري، فهذا لا يلائمك.

ـ منافقة؟

إنه يهينها. ما إن أوشكت على فتح فمها لكي ترد عليه حتى انحنى بسرعة يعانقها قبل لحظة من وقوف التاكسي.

قال مسروراً باحمرار وجهها:

ـ هيا، اخرجي. أريد أن أملي عليك عدة تقارير قبل إقلاع الطائرة.

لقد عادت إليه شخصية الرئيس وكانت كوري من الحكمة، الآن، بحيث أدركت أنها لا يمكن أن تنتصر عليه. ولكن ما إن دخلت إلى مبنى المطار، ويد ماكس تمسك بمرفقها، حتى أخذت تتساءل كيف أمكن أن يضع جانباً حديثهما السابق، ويعود إلى وضعه المعتاد معها بكل هذا

اليسر.

ولكن لماذا تعجب من ذلك؟ حدثت نفسها بذلك وفي أعماقها صوت يحذرها أن ماكس كان بالغ المهارة في معاملة النساء. سواء أكنّ زميلات في العمل، أو عمات وخالات عوانس، أو صديقات أو سكرتيرات! إنها لا تعرف مكانتها عنده وهو المتقلب بين لحظة وأخرى، وتشعر أنه يحب ذلك.

كان غريباً في قدرته على التحكم. إنه يقرّب الشخص إليه، ثم يوقفه عند حده، مقفلاً الباب في وجهه، قاطعاً الجسور بينهما. لم تكن واثقة من صواب تشبيهها، لكنها تعلم ما تعنيه على كل حال. ويمكنها أن تجمع كل هذا في جملة واحدة وهي أن ماكس هانتر هو (خبر سيء).

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ سجينة

مرت الأسابيع التي تلت رحلة اليابان، محمومة قلقة يغشاها الضباب إلا أن شيئين برزا بوضوح تام وهما امرأتان، إحداهما شقراء والأخرى سمراء.

عندما دخلت صديقة ماكس الى المكتب، متمهلة وئيدة الخطوات، فوجئت كوري بها. ولكن هذه الشقراء الرائعة التي ترفل بثوب حريري أخضر من تصميم «ديور»، جعلتها تشعر بنفسها بدينة غبية رثة الملابس، في الدقائق الخمس التي مرت قبل أن يأخذها ماكس لتناول الغداء معه. وقبل أن يرحلا أخبر ماكس كوري أنها عارضة أزياء سويدية.

تجاهلت كوري الإشارة التهكمية إلى المشادة التي سبق أن حصلت بينهما في التاكسي عن القيم التي كانت تزهو بها، حينذاك. وعندما امتدت فترة الغداء ثلاث ساعات دون أن يعود ماكس إلى مكتبه، أخذت تحدث نفسها بأنها لا تهتم بما يفعل، وراحت تكرر ذلك مرة بعد مرة.

أما السمراء فقد جاءت بعد ذلك بأسبوع، وكانت تماثل الأولى جمالاً وأناقة. وفي هذه المرة لم يعد ماكس إلى المكتب قبل خروجها في الخامسة.. تلك الليلة لم تذق طعم النوم وراحت تكرر لنفسها أنها أغبى امرأة في العالم، وأن عليها أن تستجمع شتات نفسها بسرعة لأن هذه الأمور ستحدث على الدوام وعليها أن تتعوّد عليها إذا كانت تريد البقاء في وظيفتها.

ولكن هل فعلت هذا حقاً؟ بقيت هذه الأفكار في ذهنها حتى بعدما

توارت الشقراء والسمراء بشكل ما. وعندما تتابعت الأسابيع وحلّ الصيف، لم تكن ابتعدت بعد.

كانت جيليان على صواب عندما قالت إن ماكس هو رئيس بمليون رئيس.. حدثت كوري نفسها بذلك.

صباح يوم اثنين من شهر تموز عند وصولها إلى المكتب وجدت أن عليها أن تصحب ماكس واثنين من زملائه من رجال الأعمال إلى الغداء في مطعم معروف جداً.

كانت هذه الوجبة واحدة من وجبات عديدة استمتعت بها كوري على حساب ماكس، بالإضافة إلى عدة زيارات قاما بها معاً إلى مؤسسات متنوعة، كما أن عملها نفسه كان بهيجاً ممتعاً يشغل كل وقتها. ولكن... تنهدت وهي تحدق إلى شاشة الكمبيوتر وكأنه سيقدم إليها جواباً للعذاب الذي تعانيه، وكيانها كله يتمزق.

لم يحاول ماكس معانقتها مرة أخرى منذ ذلك الوقت في اليابان، وإنما العكس فقد أصبح الآن رجل الأعمال الهادىء البشوش المراعي لشعور الآخرين.. الرئيس الكامل حسب وصف جيليان. يبدو أحياناً حازماً قاسياً عدوانياً عندما تستدعي الظروف ذلك. ولئيماً تماماً مرة أو اثنتين..

كان الأحرى بكل ذلك أن يجعلها سعيدة جداً، فلماذا لا تستطيع التخلص من فكرة أنه يتعمّد إبقاءها بعيدة عنه، فالآن لم تعد ترى ماكس الحقيقي على الإطلاق؟ ولماذا تزعج نفسها إلى هذا الحد؟ فلو أنه استمر في محاولة مغازلتها لما بقيت تعمل معه خاصة وتلك المشاعر تعتمل في نفسها.. ما يحدث الآن هو الأفضل إذن.

كما أن حالتها الذهنية لم تساعدها كثيراً في ما عانته أثناء العطلة الأسبوعية الماضية. والمعاناة هي الوصف الحقيقي لحالتها النفسية.

أخذ ذهنها يستعيد أحداث الثماني والأربعين ساعة الماضية التي كانت أشبه بالجحيم. لقد ذهبت إلى بيتها لتقيس الثوب الذي سترتديه بصفتها

وصيفة العروس، وفي هذا ما فيه من وجع القلب. فكارول بدت بثوبها الأبيض المصنوع من الدانتيل والساتان، أشبه بقطعة حلوى تعلوها القشدة، لكن ضرورة أن ترتدي وصيفاتها نفس الزي، كان شيئاً آخر. ذلك أن عدم تلاؤم هذا اللون مع لون شعرها الأحمر، كان مفزعاً، فقد جعل بشرتها تبدو بلون الكسترد. وبدت «الكشاكش» على الصدر مناسبة للصغيرات من الفتيات أكثر مما تناسبها.

وڤيڤيان... وجدت كوري نفسها تحملق الآن في الفراغ، ما الذي جرى لڤيڤيان؟ لقد دأب طوال العطلة على تقفي أثرها كجرو صغير ولم تستطع أن تتخلص منه.. الله وحده يعلم ما كانت عليه ظنون كارول وكل شخص آخر، لكنها، هي، أحرجت أشد الإحراج.

حاول مرتين الانفراد بها، وفي المرتين استطاعت التملص من ذلك، لأنها لم تشأ أن تسمع ما قد يقوله. فإن ندم ڤيڤيان على خطبته، فعليه أن يفضّ الأمر مع كارول وليس معها. وليس ثمة ما يجعلها تشترك في هذا الأمر على الإطلاق.

تنهدت من أعماقها وهي تهز رأسها، ولكن ليس عليها أن تفكر في هذه الأمور الآن. فمكتبها غارق بأعمال عليها أن تصرّفها، وبعد ذلك عليها تناول الغداء مع ماكس ومع زميلين من زملائه رجال الأعمال. وهذا يقتضيها أن تبدو متألقة حادة الذهن بالغة التركيز.

رن جرس التليفون أثناء وضعها لتقرير معقّد بالغ السرية، فرفعت السماعة دون أن تحوّل عينيها عن شاشة الكمبيوتر، وقالت بصوت يدل على انشغالها:

ـ نعم؟ سكرتيرة السيد هانتر

ـ «كوري؟» كانت هذه موظفة الاستقبال وقد بدا الضيق في صوتها:

ـ هنا شخص يصرّ على رؤيتك.

سألتها كوري مدهوشة: «يراني؟ أتعنين شخصياً؟»

ـ هذا ما يقوله، اسمه ڤيڤيان توماس وهو يقول إنه صديق قديم وإنك

ربما تتوقعين زيارة منه هذا النهار.

ـ «ماذا؟» كان صوتها مرتفعاً، فألقت نظرة إلى الباب الموصل بين مكتبها ومكتب ماكس الخاص، ثم عادت تقول بصوت أهدأ:

ـ لا أظن ذلك، ليس لديّ فكرة عن قدومه، يا «ماڤيس». اسمعي، أنا مشغولة جداً هذا الصباح، أقوم بعمل بالغ الأهمية لا يحتمل الإرجاء، فهل لك أن تشرحي له الأمر من فضلك؟ سأنتظرك على الخط.

ترددت «ماڤيس» لحظة قبل أن تقول:

ـ إنه يصر على رؤيتك الآن حالاً.

عبست كوري وفكرت في أن ڤيڤيان يتوقع أن يدور العالم حوله ولكن لماذا لم تلحظ هذا عندما كانت تعيش في بيتها؟

مضت حوالي الدقيقة قبل أن تعود «ماڤيس» لتقول:

ـ يقول إنه باقٍ في لندن لمدة ساعات قليلة فقط، يا كوري، والأمر لا يحتمل الإرجاء، والمسألة حياة أو موت.

مسألة حياة أو موت؟ قطبت جبينها أمام السماعة بعنف، وإذا بصوت ماكس يهدر في الغرفة:

ـ أي جهنم جعلتك تعبسين بهذا الشكل؟

ارتفعت نظراتها إليه فرأته واقفاً عند العتبة باسترخاء، مسمراً نظراته على وجهها. آه، ما أجمل ذلك! هذا ما كانت تتمناه قبل أي شيء آخر.

ـ حسناً، أرى أن لعبوسك علاقة بتلك.

وأشار إلى سماعة التليفون في يدها، عند ذلك فقط تذكرت كوري أن المسكينة «ماڤيس» ما زالت تنتظر جوابها. فقالت تحدثها:

ـ سأنزل بعد لحظة ماڤيس.

ثم وضعت السماعة بحذر بالغ.. كان ثمة دافع يدفعها لخبط السماعة بقوة، لكنه خطأ شنيع.

سألها بنعومة: أية مشكلة؟ هل يمكنني المساعدة؟

لم يكن يريد الابتعاد.. ما الذي جعله يشعر بأن ثمة مشكلة؟ تساءلت

كوري عن ذلك بضيق.

أجابت: «لا، في الواقع، هنالك شخص جاء لزيارتي، وهذا كل شيء. لم يكن لديّ فكرة عن قدومه...».

ـ شخص؟ هل لك أن تحددي؟

ـ صديق قديم.

شعرت بوجهها يتوهج، فتملكها الغضب من نفسها، لكنها لم تستطع شيئاً إزاء ذلك.

ضاقت عيناه وتحركتا ببطء فوق وجهها، ثم تقدم إلى جانبها بسرعة يمسك بكتفيها وعيناه في عينيها، وقال بهدوء:

ـ إنه هو، ذلك الشاب ڤيڤيان، أليس كذلك؟ كنت أتساءل كم سيطول الأمر به.

ـ سيطول الأمر به؟

فقال بانزان:

ـ أعني ليدرك أنه ارتكب غلطة كبرى، والآن، يريد أن يرى كيف يمكنه العودة؟ ما هو شعورك نحوه، يا كوري؟ هل لديك من العقل والشجاعة ما يجعلك تقولين لذلك التافه أن يذهب إلى جهنم؟ أم تريدين مني أن أقوم بهذا الشرف؟

قال ذلك ويداه تشتدان على كتفيها، لكن صوته ووجهه كانا جامدين كلياً.

أجابت محتجة بضعف: «لكنني لم أقل إنه هو الموجود في الأسفل».

وتوهج وجهها لاقترابه منها بهذ الشكل. لم يكن الوقت مناسباً للشعور بهذه الأحاسيس، لكنها لم تستطع منع ذلك.

ثم عادت تقول: «كما أن هذا ليس من شأنك».

ـ قولك هذا غير صحيح، غير صحيح على الإطلاق. إذا بدأت الاهتمام بهذا الشاب، فستتعقد أمور حياتك كلها، وهذا ما سيجعلك غير مناسبة للعمل عندي. أريد من سكرتيرتي أن تكرس نفسها للعمل مئة

بالمئة، وهذا ما أدفع أجره كما تعلمين جيداً، وعندما قررت العمل عندي كنت تعرفين ما تستلزم هذه الوظيفة يا كوري.

يا للهجته المتغطرسة هذه! وحملقت كوري في وجهه بغضب بالغ. أيظنها أصبحت ملك يمينه؟ كالإقطاعيين الذين كانوا يستعبدون الفلاحين في مزارعهم؟ لم تر شخصاً قط بالغ الثقة بأهميته مثل هذا الرجل. حسناً.. فليستعد وظيفته الرائعة هذه...

أنهى حديثه بقوله: «كما أنني لا أريد أن يلحق بك أيّ ضرر.. آسف، هل ضايقتك بالضغط على كتفيك؟»

ـ «ماذا؟» أخذت تحدّق إليه مذهولة للتغير في لهجته، والرقة التي بدت في عينيه القاسيتين. إذا كان هناك من يمكنه أن يعقّد حياتها فليس ڤيڤيان توماس بكل تأكيد.

أجابت: «آه! نعم. قليلاً، لا بأس».

وأخذت تدعك ذراعيها وهي تبتعد عنه خطوة.

قال برقة: «كوري، لقد قابلت في حياتي مئات من أمثال ڤيڤيان الذي هو ضعيف في أعماقه وضعفه هذا هو ما يجذبه إلى قوتك. إذا أخذته الآن فستحملينه على كتفيك بقية حياتك. هو ليس الشخص المناسب لك. صدقيني».

إنها تعلم ذلك أكثر من أي شيء آخر. فقالت بصوت حازم قدر إمكانها:

ـ أعلم أننا، أنا وڤيڤيان، لن ننسجم أبداً، يا ماكس، وهو ليس الخيار المناسب.

ـ لكنه لا يفهم ذلك.

ـ ربما لا.

لم تكن تريد الانجرار إلى مناقشة هذا الأمر. فلدى ماكس طريقة في استخلاص معلومات أكثر مما يريد الآخرون الإفضاء بها. وڤيڤيان ينتظر الآن في غرفة الاستقبال.

ـ أراهن على أنه لا يفهم.

مضت لحظة لم تكن سيطرته فيها على نفسه كاملة، وتكاد تقسم على أنها سمعته يزمجر بصوت خافت. ولكنه ما لبث أن ابتسم وعاد يكرر بصوت لم يعد يحتوي سوى السخرية:

ـ أراهن على أنه لا يفهم.

ـ لا.. حسناً..

ووجدت نفسها تحدق إليه مترددة.. لكن ذلك لم يعجبها، فماكس لا يحب التردد.

قالت: «إذن، سأطلب منه الذهاب».

قال مسروراً: «افعلي هذا، كوري».

كان في لهجته المتزنة شيء لا تعرف كنهه، شيء جعلها ترفع رأسها بثبات قائلة:

ـ لا تقلق، يا ماكس. سأنهي ذلك التقرير في وقته، ثم أكون جاهزة لترك المكتب في موعد الغداء.

ـ اللعنة على التقرير.

أدركت هذه المرة أنها لم تكن تتخيل الزمجرة. لكنه، في اللحظة التالية، ارتدّ على عقبيه وسار متوجهاً إلى مكتبه مغلقاً الباب خلفه بلطف، يريها أنها ربما كانت على خطأ. لكن هذا لم يكن صحيحاً، وهي تعلم ذلك.

مضت عدة ثوان وكوري تحدق الى الباب قبل أن تغمض عينيها عابسة لحظة، ثم تعود فتفتحهما على اتساعهما. ما زال هناك قُيقْيان..

عندما خرجت كوري من المصعد متجهة نحو غرفة الاستقبال، كانت على أتم استعداد لإبعاد قُيقْيان. ولكن ما إن رأته جالساً منخفض الرأس وعليه مظهر اليأس، حتى ذاب تصميمها هذا.

ـ كوري.

قفز واقفاً عند رؤيتها، وقد أشرق وجهه الوسيم الذي كان ذات يوم

يبعث البهجة في نفسها.

ـ كان عليّ أن أحضر، أنت تعلمين هذا، أليس كذلك؟ كان عليّ أن أراك.

ـ مرحباً قُيقْيان.

انتبهت كوري إلى ماڤيس التي نظرت إليها باهتمام، فسارعت تجرّه إلى أريكة صغيرة قائمة بين نباتات، ثم سألته ببشاشة، مرغمة صوتها على إظهار المرح:

ـ ماذا جرى؟ هل حدث شيء؟

أخذ يحدّق إليها بعينين ضارعتين ثم قال:

ـ هل حدث شيء؟ كوري، أرجو منك أن تسامحيني. كنت بالغ الحماقة، غبياً، مجنوناً.

بدا لها الأمر أسوأ مما كانت تظن. ابتسمت قائلة:

ـ أسامحك؟ وما هو الذي عليّ أن أسامحك عليه، قُيقْيان؟

ـ أواه، يا كوري.

كان هذا بكاءً تقريباً، فثار كل شيء فيها لهذا الصوت. بدا لها أشبه بغلام أناني مدلل تشبّث بما ظنها أحسن هدية معروضة فإذا به يجدها علبة فارغة، لكن كارول لم تكن علبة فارغة، بل هي مخلوقة دافئة بالغة الحيوية. وبعد فقدها لوالديها وهي طفلة صغيرة، ثم بقائها في عهدة عمة عانس لم تكن متفرغة لها تماماً، أصبحت بحاجة إلى الحب والدلال والانتباه والرعاية، وهذا يصعب على قُيقْيان أن يمنحها إياه. ولكن هذه مشكلتهما، وعليهما أن يحلاّها معاً. ليس بإمكانها أن تساعده هذه المرة.

نظرت إليه بثبات: «لا أفهم، ما الذي عليّ أن أسامحك عليه، قُيقْيان؟»

قال برقة: «لأنني تركتك، لأنني آلمتك. ما كان بيننا علاقة رائعة، كوري. كنت غبياً لأنني لم أدرك هذا حينذاك».

نظرت كوري إليه مباشرة، ثم قالت بصوت واضح:

ـ ما بيننا كان صداقة، ڤيڤيان، وما زلنا صديقين. وسأعتبركما، أنت وكارول، دوماً أعزّ صديقين عندي.

لم يكن هذا صحيحاً تماماً ولكنها اعتبرت أن هذا الظرف يجيز مثل هذه المبالغة.

احمر وجهه وقال بحدة: «أنت لا تعنين هذا، أنت تحبينني.. لقد أحببتني دوماً أيضاً. تعرفين أننا خلقنا لبعضنا بعضاً وعلاقتي بكارول جعلتني أدرك مبلغ حبي لك، وهذا كل شيء. ثم إن الوقت لم يفت، كوري. ألا ترين ذلك؟ أريد أن تعود الأمور بيننا كما كانت».

وهي تفضل الموت على ذلك.

ـ وسأخبر كارول، سأخبرها بأنني رأيتك وأننا اتفقنا على أننا نريد أن نعيش معاً، وأن الزفاف ألغي و..

ـ «ڤيڤيان»...

لم ترفع صوتها، ولكن شيئاً فيه أسكت ڤيڤيان عن متابعة كلامه.

ـ أرجوك ألا تتابع حديثك. لقد أخذت قرارك وأظنه الصواب. ما كنا لنصبح سعيدين أبداً، خصوصاً من الناحية العاطفية. نحن صديقان، وهذا كل شيء. أظن أن حفلة الزفاف وما يترتب عنها قد ولدا لديك هذا الشعور. والتوتر الذي يسبق الزواج أمر معروف لدى الناس.

ـ لا تتعالي عليّ، يا كوري.. أعرف لماذا هربت إلى لندن. لم يكن السبب أنك حقاً تريدين الرحيل، أليس كذلك؟ بل المسألة أنك لم تستطيعي تحمل رؤيتي مع كارول.. لقد رأيت وجهك ليلة خطوبتنا. أنت تريدينني، كوري».

كان وجهه، وهو يقول ذلك، شاحباً متوتراً ذكرها بمنظره صبياً، عندما لم يكن يحصل على ما يريد.

ـ من الخطأ أن يظن المرء أنه يعرف ما يريده الآخرون.

كان هذا صوت ماكس. لم تعرف كوري ما إذا كان عليها أن تفزع أم تشعر بالراحة لأن ماكس قدم نحوهما. كان كعادته هدوءاً وتهذيباً، يرفع

حاجبيه قليلاً بينما الكياسة واضحة على وجهه الوسيم الذي لم تثق به لحظة.

تابع يقول برقة: أعتذر للمقاطعة لكنني بحاجة إليك حقاً، في المكتب كوري، فهل انتهيت هنا؟.

حدّقت إليه بحيرة قبل أن تسارع إلى تمالك نفسها:

ـ ماكس... هذا ڤيڤيان، وهو صديق قديم لي. ڤيڤيان.. هذا رئيسي ماكس هانتر.

وجدت نفسها تقدمهما إلى بعضهما بعضاً بشكل مبالغ فيه، ثم توقفت فجأة.

كانت محاولة شجاعة، ولكن لم يتقبلها أيّ منهما.. نظر ڤيڤيان إلى ماكس متأملاً بذلته الغالية الثمن، الرائعة التفصيل. إنه مثال الأناقة الكاملة والوجه الوسيم، وماكس لم يحاول إخفاء اشمئزازه من هذا الشاب فكل خلية في جسده كانت تنضح بشعوره وبرأيه في ڤيڤيان توماس الذي يدل على أن الدودة أرفع منه شأناً.

قال ڤيڤيان بصوت منخفض كالفحيح:

ـ إذن هذا هو الأمر. فهمت كل شيء الآن. كيف أمكنك القيام بذلك يا كوري، كيف؟

سأله ماكس بهدوء مصطنع:

ـ أليس لديكم في الأرياف مفاهيم متعارفة تتبعونها؟ أما كان يجدر بنا أن نقول أولاً: «كيف حالك، أو تشرفنا؟» أو أي شيء مماثل عند التعارف؟

لكن ڤيڤيان تجاهله، سائلاً كوري، شاحب الوجه:

ـ منذ متى يجري بينكما هذا الأمر؟ ولا تكذبي عليّ، يا كوري.

اقترب ماكس منه خطوة وقال بصوت يشوبه الهزل:

ـ لو كنت صديقاً قديماً لكوري، حقاً، لعلمت أن كوري لا تكذب أبداً. والواقع أنها صريحة أحياناً إلى حد الإيلام.

ـ والآن، اسمع يا هذا.. لا أدري من تظن نفسك.

وكانت هذه غلطة شنيعة من ڤيڤيان، لأن وجه ماكس تجهم وقدحت عيناه شرراً وهو يقول:

ـ أنا أعلم تماماً من أكون. أنا رئيس كوري ومالك هذا المبنى، فإذا أنهيت عملك مع سكرتيرتي أقترح أن تخرج من هنا إلى جهنم، يا.. ڤيڤيان.

ولفظ اسمه بلهجة هي بحد ذاتها إهانة.

أجاب ڤيڤيان عابساً وهو ينظر إلى كوري: وإذا لم أخرج؟

خرج الأمر عن السيطرة الآن، ووجدت كوري نفسها تفرك يديها، ثم تتدخل قائلة بسرعة:

ـ ڤيڤيان، هذا يوم عمل، وأنت تفهم هذا بالتأكيد. ما كان لك أن تأتي إلى هنا دون أن تعلمني بذلك أولاً.

ـ كان عليّ أن أفعل ذلك، يا كوري، فأنت تعرفين ما أشعر به. كان عليّ ذلك.

قال ماكس بصوت حاد: «هذا غير صحيح.. أنت اخترت ذلك، وأنا أريد منك أن تخرج من هنا.. الآن».

إنه أسوأ مشهد قد تتصوره كوري، فكيف تتصرف الآن بصفتها وصيفة العروس، وصديقة، وجارة؟ أخذت تفكر بوحشية. إنها قادرة على التصرف مع ڤيڤيان لو يتركهما ماكس بمفردهما.

قال ڤيڤيان يحدث كوري مباشرة واليأس يبدو على وجهه:

ـ أنا سأمضي الليلة في لندن، فهل يمكنني رؤيتك فيما بعد؟

في هذه اللحظة، هي على استعداد لوعد ڤيڤيان بأي شيء لجعله يخرج من هذا المبنى وينهي هذه المهزلة، وهكذا أومأت تقول بسرعة:

ـ اتصل بي تليفونياً فيما بعد إلى شقتي. لديك رقم تليفوني، أليس كذلك؟ سنتحدث عند ذلك بالمزيد، يا ڤيڤيان.

ـ أنا ذاهب.

وألقى نظرة توسل أخرى في اتجاهها، ثم خرج من المبنى بسرعة مطأطىء الرأس محني الكتفين.

مضت لحظة صمت قال ماكس بعدها، بصوت تمتزج فيه القسوة بالسخرية:

ـ وهذا هو الرجل الذي كان قلبك ينزف لأجله؟ لقد خاب أملي فيك يا كوري، كان بإمكانك أن تكوني أكثر حكمة.

لم تكن بحاجة إلى هذا الكلام. منذ لحظة كانت مشتتة الذهن، لكنها الآن شعرت بدمها يلتهب وبعينيها تقدحان شرراً فقالت:

ـ قد لا يكون كاملاً، لكنه، على الأقل، لا يخاف من الالتزام والحب.

ـ قولي ما تشائين، ولكن كان من الأفضل لو أنه عرف جيداً أين يجب أن يكون ذلك الحب وذلك الالتزام. ألا تظنين ذلك؟ لا بد أنه يعرف أن تعدد الزوجات أمر غير شرعي في هذه البلاد.

وكان يقصدها بذلك، فاحمر وجهها. كم هو بغيض:

ـ لقد اختلط الأمر على ڤيڤيان.

ـ أعلم ذلك، والآن إذا انتهيت من وضع كشف بأحلام حب الصبا، يمكنك الصعود لأداء بعض العمل.. ثم...

وسكت ناظراً إليها بحدة:

ـ هل تعلم خطيبته بأنك تشجعينه على اللحاق بك؟

بادلته نظرة مماثلة، وهي تقول:

ـ لا أدري، في الحقيقة، يا ماكس. أتريد مني أن أعطيك رقم تليفون كارول لكي تسألها بنفسك؟

تشابكت نظراتهما لحظة قال بعدها بلهجة لاذعة وهو يتنفس بعمق:

ـ أظنك سبق أن قمت بما يكفي من الدمار، أليس كذلك؟ وربما تمرّ الفتاة المسكينة الآن بمعاناة هي الجحيم بعينه.

كانت تغلي في داخلها. ولو كانت في أي مكان آخر غير قاعة

الاستقبال هذه، لما منعها شيء في العالم من صفع هذا المتغطرس البارد الوجه. لكن السكرتيرة الحقيقية لا تستسلم إلى نوبات هستيرية، مهما تعرضت إلى الاستفزاز. قالت بكبرياء، محملقة فيه مرة أخرى قبل أن تسير متجهة إلى المصعد:

ـ هذا كلام رخيص ولا داعي للتفوه به، ولا أراه يستحق جواباً.

انضم إليها بعد لحظة، وعندما انفتح باب المصعد تركها تتقدمه في الدخول. كانت تتوقع رداً منه، لكنهما وقفا صامتين إلى أن وقف المصعد مرة أخرى في الطابق الأعلى، عند ذلك قال بصوت جامد:

ـ أريد رؤية ذلك التقرير حال الانتهاء منه.

ثم دخل مكتبه. فتملكها شيء من الراحة لأنها شهدت نقصاً في قدرة ماكس على السيطرة على نفسه. أتراها تمكنت من إحداث وخزة في جلده السميك ذاك؟

بذلت كوري جهداً بالغاً في العمل بقية ذلك الصباح، وركزت على المهمة التي في يدها، دون أن تسمح لذهنها بأن يسرح ولو لحظة واحدة.. فعندما تذهب إلى شقتها، ستعيد التفكير في أحداث الصباح، أما الآن فهي لا تريد أن تعطي ماكس فرصة لانتقاد عملها مهما كان السبب.

وصل ضيفا ماكس بعد الثانية عشرة مباشرة، وبعد ثلث ساعة كانوا جميعاً في طريقهم إلى المطعم في سيارة ماكس الرولز رويس وكوري بينهم تقوم بدور السكرتيرة الهادئة الكفؤ.

تألق مطعم «بلومز بري» بالثريات البلورية وأغطية الموائد الدمشقية، والندل الأنيقي البزات، لكن هذا لم يرهب كوري وهي التي زارت هذا المطعم عدة مرات من قبل في الأشهر التي أمضتها في خدمة ماكس.. تصرفت كمضيفة رائعة لماكس، كما كان هو مضيفاً رائعاً كعادته، ولكنها كانت تشعر بالجدّ المتوتر خلف الأحاديث القصيرة والمزاح الدائر بينهم.

وعندما أصبحوا جميعاً في الرولز رويس بعد الساعة الثالثة، كان الإرهاق يتملكها، ولكن ذلك لم يظهر على وجهها المشرق وحديثها

الطلق.

أنزلا ضيفي ماكس أولاً وما إن انغلق باب السيارة خلفهما، حتى شعرت كوري بالجوّ يصبح متوتراً مشحوناً بالكهرباء. جازفت بإلقاء نظرة جانبية من تحت أهدابها إلى ماكس، لكن الغموض ساد ملامحه كالعادة. كيف يمكن لرجل أن يكون متمالكاً نفسه إلى هذا الحد؟ أخذت تحدث نفسها بذلك بامتعاض، لم تكن تستطيع تصوره يفقد السيطرة على أعصابه، فقد كان واحداً من أكثر الرجال جموداً في العالم.

ولأول مرة بعد تلك المقابلة مع ڤيڤيان، سمحت لأفكارها بأن تسرح.

أول ما فكرت فيه هو أن ڤيڤيان كذب عليها. المفروض أنه جاء لزيارتها في المكتب، لأن مكوثه في لندن كان لساعات معدودة فقط، كما قال لموظفة الاستقبال «ماڤيس»، ولكن عندما قابلته قال إنه سيمضي الليلة في لندن. لم تكن متلهفة إلى هذا المساء... ما الذي يمكنها أن تقوله لڤيڤيان فقد قالت له كل شيء في الصباح؟ سيكون الأمر فظيعاً.

ظلت أفكارها تتجاذبها في مدّ وجزر، وبسبب الإرهاق الجسدي وتوتر الأعصاب اللذين تملكاها طوال النهار، لم تلحظ أنهما لم يكونا منطلقين في الطريق الصحيح إلا بعد مضي ربع ساعة. لم تكن، في الواقع، واثقة من المكان الذي كانا فيه وهي تطل من نافذة السيارة مجفلة.

كان ماكس متراخياً في مقعده مغمض العينين منتظم الأنفاس. لكنها أدركت غريزياً أن جلسته الكسول هي مجرد مظهر.. فقالت بصوت حاد:

ـ أين نحن، يا ماكس؟ أنا لا أعرف هذه المنطقة؟

تحرك قليلاً قبل أن يفتح عينيه، وعندما التقت عيناه الذهبيتان الحادتان بعينيها الخضراوين القلقتين، شعرت بمعدتها تنقلب.

ـ «إننا في...» واستقام في جلسته وأخذ ينظر من النافذة، ثم قال:

ـ في شارع بلهام، الذي يلي ساحة «تيرلو» مباشرة.

أخذت كوري تهدئ من نفسها بصمت. إنها تعلم ما يفعل، فهي شاهدت منه هذا التصرف مرات كثيرة نحو آخرين. كان يسعى

لإغضابها.. لكي تفقد أعصابها، بينما يجلس هو مظهراً التعاطف والرغبة في المساعدة، وفجأة، يضرب ضربته. ولكن هذا لن يحصل الآن.

قالت عابسة: «ليس هذا طريق المكتب».

ـ لا، ليس طريق المكتب. بل يبعد عنه أميالاً.

عضت شفتها السفلى بشدة.

ـ إلى أين نحن ذاهبان إذن، يا ماكس؟

ـ أنا بحاجة إلى بعض الأوراق من البيت، وهكذا بدت لي الفرصة سانحة لإحضارها.

البيت.. حسناً، لا بأس. كل ما عليها أن تفعل هو البقاء في السيارة ريثما يحضر هو الأوراق. الأمر بسيط. أومأت برأسها وسكتت، وعندما خلع سترته وفك ربطة عنقه قال مستأذناً:

ـ «أتمانعين؟» فهزت رأسها وعادت تنظر من النافذة.

كان منزل ماكس في ضاحية هارلو. وكانت كوري تعلم ذلك، لكنها لم تكن تنتظر أن ترى كل تلك المساحة من الأرض التي تحيط به ولا فخامة المنزل الشبيه بالقصور.

قال لها برقة: «كوباً من القهوة؟»

ـ ماذا؟ آه، لا! شكراً.. سأنتظرك هنا حتى تحضر الأوراق.

قال ببساطة:

ـ قد يستغرق ذلك بضع دقائق، ومدبرة منزلي ستستاء جداً إذا تركت ضيفاً ينتظر في السيارة دون أن أدعوه لتناول المرطبات.

ـ لست ضيفاً، أنا سكرتيرك.

ـ مدبرة منزلي لا ترى في ذلك فرقاً.

وراء رقة صوته الآن نبرة فولاذية لكن كوري تجاهلتها وهي تصرّ بأدب:

ـ صدقني.. أفضل الانتظار في السيارة.

ـ وأنا أفضل أن تدخلي البيت.

نظرت في عينيه الكهرمانيتين فأدركت على الفور أنه لن يذعن أبداً. فقالت وهي تهز كتفيها بإذعان:

ـ إذا كنت تصرّ...

ـ نعم، أصرّ على ذلك يا كوري.

والتوى فمه بابتسامة ساخرة ومدّ يده يساعدها على الترجل من السيارة، بوجه جامد. وعندما وضعت قدميها على الأرض سحبت يدها من يده، لكنه عاد فأمسك بمرفقها يقودها في الفناء ثم يصعد بها الدرج الفسيح المتعرج ليدخلا بعد ذلك من الباب الرائع الجمال المصنوع من خشب السنديان. ولكنها تجاهلت كل ذلك، ولم يكن هذا صعباً فقد علمتها وظيفتها ألا تشهق عجباً لكل ما تقع عليه عيناها.

كانت الردهة رائعة، من الأرض المصقولة بشكل رائع، إلى السقف العالي المعقود، إلى الدرج البديع. ولوحة واحدة من تلك المعلقة على الجدار يعادل ثمنها راتب كوري لستة أشهر.

ـ تعالي إلى غرفة الجلوس.

وسار أمامها إلى غرفة مذهلة الجمال، أثاثها يمثل كل ما يحلم به بشري من جمال وروعة. كانت السجادة بلون القشدة يغوص فيها الكاحل، والأرائك والمقاعد بلون العسل، كما عبرت التحف المنتشرة في كل مكان عن ذوق راق وترف لا حدّ له.

انسدلت على جانبي الباب الفخم الفرنسي الطراز ستائر حريرية بلون السجادة وهو يفضي إلى فناء بديع خلفه مجموعة من الشجيرات التي تحيط ببركة زرقاء للسباحة تتألق تحت أشعة شمس تموز الحارة.

لم يدهشها ذلك، فهي تعلم أنه ملياردير، ولذا من غير المعقول أن يعيش في شقة تتألف من ثلاث غرف. ولكن كل هذا... كل هذا كان حقاً فوق مقدرة الإنسان على التخيّل.

ـ أريحي نفسك.

جاء صوت ماكس عميقاً رقيقاً خلفها. وعندما التفتت إليه وعلى

شفتيها مجاملة مهذبة، وجدت، بدلاً من ذلك أنها تحدّق في عينيه الذهبيتين. كان رائعاً، وهو يتلاءم مع كل ما يحدق بهما. إنه بعيد عن فلكها بُعد رجل في القمر.

سألها: «أتريدين تلك القهوة، أم ربما كوباً من المرطبات؟»

ـ أنا.. أنا لست بحاجة إلى شيء.

عنفت نفسها لهذه الإجابة. لماذا لم تحاول، على الأقل، أن تتصرف وكأن كل هذا لم ينسف عقلها؟ وهو الذي اعتاد على نساء يرين كل هذا الترف دون مبالاة؟

وتابعت تقول بلهجة المكتب المهذبة:

ـ سأنتظرك هنا حتى تنهياً للذهاب.

ـ آه، ولكن قد يستغرق ذلك بعض الوقت.

في صوته نبرة استياء لم تفتها. لم تجرؤ على إظهار ارتيابها، بل قالت ببشاشة:

ـ لا بأس، فأنت الرئيس.

أجاب متأملاً: «نعم، أنا الرئيس، أليس كذلك؟»

لم يكن في هذا ما يبعث على الاطمئنان. لكنها كانت مصممة على أن لا تدعه يرهبها، وحدقت إليه جامدة الوجه.

قال برقة: الحقيقة يا كوري هي أنني قررت عدم العودة إلى المكتب اليوم. فهذا لا يتلاءم مع مشروعي.

استمرت تحدّق إليه وهي تكافح لإخفاء ذعرها، ثم قالت بصوت ثابت:

ـ لا بأس، إذا كان هذا ما تريد. هل أستدعي تاكسياً أم ترسلني بسيارتك؟

ـ لقد ذهبت سيارتي.

ـ سأستدعي تاكسياً إذن.

ـ ليس... تماماً.

ثم قال بوقاحة: «هنالك خمس غرف نوم يمكنك اختيار واحدة منها».

خفق قلبها أولاً، وما لبث الحذر أن تملكها:

ـ أنا عائدة إلى المكتب ماكس.

قال بنفس لهجتها:

ـ لا، لن تذهبي، بل ستبقين هنا حتى صباح الغد.

ـ هل أنت مجنون؟

ـ ربما. ولكن بالنسبة إلينا نحن الاثنين، أنت هي المجنونة، فأنت بحاجة إلى حماية نفسك يا كوري من ذلك الرجل، قيڤيان، الذي لن أعرّضك للتورط معه مرة أخرى.

ـ إنك لن...

تلاشى تأثير هذا المنزل الرائع مختفياً معه كل ثرائه وسلطته، كما نسيت كوري أنه رئيسها، وأن راتبها السخي للغاية وما يضاف إليه من علاوات تحت سيطرته، ولم تفكر إلا في ما تملكها من غضب عارم، فانفجرت فيه قائلة:

ـ من تظن نفسك، يا ماكس هانتر؟ كيف تجرؤ على أن تعلّمني ما عليّ أن أفعل؟ سأغادر هذا المكان حالاً، وأنت تعلم ما عليك أن تفعله بوظيفتك تلك. عملي عندك كسكرتيرة لا يعني امتلاكك لروحي أيضاً.

ـ بالمناسبة، ليست هي روحك التي أفكر فيها.

وجذبها بين ذراعيه دون أن تدرك ما يحدث. ولكنها سارعت تقاومه، تقاوم عناقه.

كان عناقه عنيفاً وشغوفاً بحيث جعل قلبها يخفق بقوة وجنون فاندفعت الدماء الحارة إلى شرايينها فشعرت أنها حية كما لم تكن يوماً، وحلّ شيء آخر محل الغضب.

ـ كوري.. كوري الحلوة.. كوري الحلوة الغاضبة المراوغة.

لم تعد قادرة على مقاومته والعنف الذي بدأ به عناقه أصبح رقة ممتعة

وظل العناق حتى شعرت بأن قدميها ذابتا وكادت تسقط أرضاً لولا ذراعاه اللتان كانتا تسندانها، وهو يهمس:

ـ والآن أخبريني أنك تريدين أن تقابليه هذه الليلة. هل بإمكانه أن يجعلك تشعرين هكذا.. أخبريني أنك تريدينه.

أخرج همسه هذا كوري من عالم الألوان والأنوار والأحاسيس التي أخذها إليه، إلى الواقع الجاف.

تملصت من بين ذراعيه وساقاها ترتجفان ووجنتاها تحترقان، لكن عينيها كانتا تلتهبان وهي تقول:

ـ على الأقل لم يفرض ڤيڤيان نفسه على امرأة، فهو يتصرف دوماً كسيد مهذب.

توترت شفتاه: «نعم؟ هذا لا يدهشني. إنه من ذلك النوع الذي يرضى بأن يقاد بلجام في فمه طوال حياته».

قالت بغضب:

ـ آه! إذن فأنت تعتبر القوة الوحشية رجولة؟

قالت ذلك، وهي تعلم أنها تغطي شعورها بالمذلة والخزي.. كيف أمكنها الخضوع كلياً له؟ كيف أمكنها ذلك؟ بعد ما سبق أن حدثت نفسها به طوال الأشهر الماضية...؟

رد عليها بعنف: «أنا لا أعتبر ذلك، طبعاً، أنا لا أشعر بسوى الازدراء للرجال والنساء الذين يعتبرون أن القوة الوحشية قد تجعلهم يبلغون مأربهم».

ـ آه! دع عنك هذا. فأنت لا تتوقع مني أن أصدق، أليس كذلك؟ التصرف أبلغ من الكلام، على كل حال.

كانت تكافح نفسها الآن، وتلك السيطرة المخيفة التي يملكها عليها. لكنه لا يعلم ذلك.

قال بهدوء مفاجئ: لا يهمني ما تصدقينه، يا كوري. ولكنها الحقيقة، لقد حصل لي هذا...

وأشار إلى أثر الجرح على جانب عنقه، وكانت رأته مراراً من قبل.

ـ حصل لي هذا لأن شخصاً ظن أن بإمكانه إرغامي على ما يريده، لكن ذلك لم ينفعه. ولست من مؤيدي القوة الجسدية.

أخذت تحدق إليه وقد فوجئت بما كشفه عن نفسه.. فقالت بصوت مرتجف:

ـ من فعل بك ذلك؟

أجاب بابتسامة باردة ملتوية:

ـ صديقة لي. لم تخبرني أنها كانت متزوجة. وعندما علمت بذلك نبذتها، فاعترضت على ذلك.

سألته بذعر:

ـ ففعلت بك هذا؟

يبدو أن اكتسابه الخبرة بجنس النساء كان أشبه بالسير في حقل ألغام.

أجاب ببرودة: «نعم، فعلت بي هذا، لكنها أولاً حاولت اتباع الأساليب الأنثوية بتهديدها بقتل نفسها إذا لم أستمر في علاقتي بها، وعندما لم تنجح في هذا، تملكها الغضب وأخذت تقذفني بكل ما وصلت إليه يدها، ومنها مرآة قديمة. وكدت أصاب بضربة بالغة، فقد أخبرني الطبيب بأن الضربة لو انحرفت ستتمتراً عن مكانها لنزفت حتى الموت في دقائق. لقد علمني هذا الدرس أن أكون أكثر حذراً في المستقبل».

ـ هذا... هذا فظيع.

صدمها هذا بشكل واضح، بينما هز ماكس رأسه ببطء وقال ساخراً:

ـ لم تكن بطلة قصة «كارمن» التي قتلت حبيبها، لا أسوأ ولا أحسن من بقية بنات جنسها. فقط أعنف غضباً من أكثر النساء، نظراً لدمها الأسباني على الأغلب.

قالت بحرارة: «هل تظن أن أيّ امرأة قادرة على مثل هذا؟ خصوصاً جرائم العنف الجسدي؟ لا يمكن أن تعتقد هذا».

قال: «نعم، أعتقد هذا. فالجنس البشري يمتاز بعاطفتين محمومتين

هما الطمع، والرغبة الجنسية. فإذا خابت واحدة منهما، تحدث المشاكل. فكيف إذا خابتا معاً؟»

أخرستها فظاعة هذا الأمر لحظة، لحظة واحدة فقط استقامت بعدها بكبرياء وأخذت تحدق الى وجهه ثم قالت بهدوء:

ـ إذن، كل ما يمكنني قوله هو أنني آسفة عليك يا ماكس، بل أنا أكثر أسفاً مما يمكنني قوله.

رأت الذهول لجوابها مرتسماً على ملامحه الصلبة، لكنها استمرت تقول:

ـ قد تكون غنياً واسع السلطة والنفوذ، وربما تحرك عالمك بإشارة من إصبعك، لكنك، في الحقيقة، لا تملك شيئاً. لا تملك فكرة عن الحياة التي تقنع الناس الطبيعيين الطيبين، وهم موجودون، صدّق أو لا تصدق.

ـ لا شيء يسمى ناس طيبون طبيعيون، كوري. فلدينا جميعاً الجزء الشرير. بعض الناس يتمكنون من إخفائه أكثر من غيرهم، وهذا كل شيء. وقد فضلت صدق هجوم كارمن، على كل محاولاتها الحلوة لإقناع حبيبها.

ـ كانت تلك امرأة مريضة، يا ماكس. وربما اختلاطك بأمثال أولئك الناس السطحيين المتسترين جعلك تحصل على ما تستحقه، فشبيه الشيء ينجذب إليه، كما يقولون.. خلتك أدركت ذلك.

قال مشمئزاً: «يا لها من حكمة منعشة... واضحة!».

لكنها رأت من النظرة التي بدت في عينيه، والشحوب المفاجئ في وجهه ما جعلها تدرك أن كلماتها أصابت هدفها. فقالت بسرعة:

ـ لا، بل هذا مجرد منطق عقلاني.

رجت الله ألا يلاحظ ارتجاف صوتها.. لقد نطقت بالحقيقة حين قالت إنها تشعر بالأسف عليه. لكن حبها له وشفقتها عليه جعلاها تريد أن تخفف عنه بالعناق؟ وكانت تعلم أن في ذلك هلاكها، ولكنه لا يفهم أمراً كهذا، فبالنسبة لماكس لن يكون هذا سوى مجرد تعبير عن الرغبة.

ومع هذا قلبها ينزف دماً لأجله.. لأجل ذلك الطفل الصغير الذي نشأ مالكاً لكل أنواع الترف في الحياة إلا أهم ما فيها.. حب الأم غير المشروط الذي بإمكانه أن يخفف أسوأ تجارب الحياة.

ـ أضيفي إذن من ذلك المنطق إلى وضعك.

لقد نسيت، للحظة، أنها تناقش عقلاً حاداً مرهفاً. إنما الآن، وهو يعيد الحديث إلى لقائها المنتظر مع ڤيڤيان، رأت أن ماكس ما زال يسيطر على الموقف.

تصلب جسمها، وأمسكت عن الرد الحاد الذي قفز إلى شفتيها وأرغمت نفسها على التنفس بعمق ثم عدّت إلى العشرة قبل أن تقول:

ـ ليس لديّ النيّة في التورط مع ڤيڤيان، إذا كان هذا ما تعنيه. مع أن لا شأن لك بهذا.

قال ساخراً: «فيه شيء يجعلك تأكلين من يده في دقيقة.. إنه من نوع الجراء».

لو أنها لا تكنّ له كل ذلك الحب، لكرهته حتماً.

ـ آسفة لضعف ثقتك بي، ولكن بما أن الأمر يتعلق بحياتي وتصميمي، فأنا أريد أن أخرج.

هز كتفيه: «آسف، لا يمكنك ذلك».

ـ سأطلب من مديرة منزلك أن تطلب لي سيارة أجرة.. وإذا دعت الضرورة، فسأخبرها بالسبب، فليس لديك الحق في الاحتفاظ بي هنا ضد إرادتي، ذلك تصرف بربري... عدا عن كونه غير قانوني.

ـ أتعلمين؟ عندما دعوتك إلى هنا كنت نسيت أن السيدة براون ذهبت لزيارة أختها هذه الليلة، وهذا غباء مني. وهذا يعني أن لا أحد سوانا، أنا وأنت هنا، كوري.

كان يكذب بكل بساطة.

ـ خططت لذلك.

وتذكرت أنه كان يتحدث مع مديرة منزله تليفونياً حين أخذت إليه

قهوة بعد شجار الصباح ذاك، وتوقف عن الكلام حتى خرجت من المكتب.

وعادت تقول: «نعم. لقد فعلتها، خططت لذلك».

قال دون ندم: «طبعاً، فأنت بحاجة إلى من يحميك من نفسك، وليس هناك غيري هنا».

كان هذا كثيراً. إنها القشة التي قصمت ظهر البعير.. الوغد المحتال.

ـ تحميني من نفسي؟ لقد أغريتني بالقدوم إلى هنا بادعاء زائف، وفي نيتك أسري عندك، ثم تحاول أن أطارحك الغرام، ثم تتحدث عن (الحماية)؟ أنت شخص غير معقول.

قال متجاهلاً بقية الاتهامات بعدم اكتراث رائع:

ـ أطارحك الغرام؟ كوري، حتى مع المرأة السطحية التافهة أعلم أن من المعتاد أن أنتظر حتى تطلب هي مني. ولكن، طبعاً، أنا على أتم الاستعداد إذا كنت أنت كذلك.

ردت ثائرة وهي تراه يعتبرها مهووسة جنسياً:

ـ ليس لدي أي استعداد، ولن يكون هذا أبداً، خصوصاً معك، ماكس هانتر. فانس الأمر إذن.

نظر إليها بغموض: «هذا مؤسف، فلا بأس بك».

ـ أريد منك أن تدعني أخرج.

ـ لا تكوني مملة، كوري.

وعندما اقترب منها مرة أخرى، أجفلت، لكنه أمسك بذراعها فقط، واقتادها عبر الغرفة وهو يقول:

ـ تعالي انظري إلى غرفة نومك، ثم ارتدي ثوب السباحة، فالبركة نُظّفت وتنتظرنا. وقبل أن تفكري بالمحاولة، أعلمك أن السيدة براون رفعت كل أجهزة التليفون الداخلية قبل خروجها، والتليفون الأساسي في مكتبي وبابه مقفل».

قال ذلك بابتسامة ملؤها الرضى عن النفس.

قالت بحدة وكأنها لا تعلم: «لا أدري من يمكن أن يطلب منها ذلك».

ـ وهناك رقم مرمّز لفتح البوابة الخارجية.

ـ أنت رجل غير معقول.

ـ شكراً.. لطف منك أن تذكري ذلك مرة أخرى، خصوصاً وأنت لم تختبري كل صفاتي بعد، أو جميع طاقاتي الكامنة، لكن بإمكاننا تصحيح هذا الخطأ متى شئت. والآن، أنا واثق من أن هناك ملابس سباحة تلائمك في غرفتك بالإضافة إلى كل ما قد تحتاجينه، فلماذا لا تريحين نفسك وتستمتعين بهذه الأمسية ما دمت هنا؟ ساعتان من الاسترخاء بجانب البركة يتبعها عشاء جيد لا يعد محنة، أليس كذلك؟ وربما تجدين أنك أصبحت تحبينني قليلاً في نهاية الليل. المعجزات تحدث أحياناً.

قال ذلك متهكماً.

آه، لو كان يعلم! هذه الفكرة أسكتت كوري عن المزيد من النقاش، ولكن ما إن تبعت ماكس إلى خارج غرفة الجلوس، حتى أخذت تدعو الله كما لم تفعل من قبل.

* * *

٧ ـ أنتِ في دمي . . .

عندما تركها ماكس قائلاً ببساطة :

ـ سأراك في الأسفل بعد عشر دقائق.

بعد أن فتح لها باب جناح الضيوف الفاخر، وقفت كوري لحظة داخل الغرفة دون حراك وهي تفكر في ما يواجهها من روعة.

وقفت في مكان كان واضحاً أنه غرفة جلوس صغيرة فيها جهاز تليفزيون مسطح هو آخر طراز عصري، كما قام في زاوية ثلاجة. كان «الديكور» ذا لون وردي داكن إلى جانب اللون الذهبي، كما رأت نفس اللون ينعكس في غرفة النوم. . وعندما فتحت خزانة الثياب وجدت من الملابس ما يكفي، وكلها معلق عليها بطاقات تحمل اسم المصمم، وتكفي عشر ضيفات . . هل هن ضيفات أم حبيبات؟

لكن لم تكن مظاهر الثراء غير المحدود ما دفع قلبها للخفقان، بل ماكس نفسه فهي لم تفهم طريقة تصرفاته هذه، ولم تستوعب أن العالم الذي اعتادته قد تغير هذا الصباح بشكل مسرحي مثير في ساعات قليلة.

هذا الصباح لم يكن سوى رئيسها، ماكس هانتر، ملك الأعمال، وفاتن النساء غير العادي، الذي كان بإمكانها مواجهة مشاعرها نحوه، تقريباً. أما الآن. . فهي غير واثقة مما هو عليه، أو من رأيه فيها، وقد زاد هذا في انزعاجها أكثر مما كانت تتصور. فهي ضعيفة أمامه، خصوصاً بعد ذلك العناق في غرفة الجلوس، وانفرادها به بهذا الشكل هو مقدمة كارثة هي غير مستعدة لها.

لماذا ترك ظهور قيقيان ذلك الصباح في نفسه كل هذا الغضب والثورة؟ أخذت تتساءل عن ذلك وهي تستلقي على السرير متنهدة. إنه لا يهتم بها بشكل خاص، لقد أوضح ذلك تماماً في الأسابيع الماضية بعد عودتهما من اليابان حيث انجرفا فترة قصيرة عن وضعهما بصفتهما رئيساً وسكرتيرته.

حتى ذاك كان فقط لأنه ظنها سهلة المنال، ذكّرت نفسها بذلك وقد تملكتها التعاسة. وما إن أفصحت عن شعورها نحوه، حتى تركها وشأنها والحسنة الوحيدة التي يراها فيها هي أنها غير مملة.

ماذا عليها أن تفعل؟ أطالت جلوسها في تلك الغرفة الدافئة المعطرة نصف دقيقة أخرى، قبل أن تقفز من السرير وتعود إلى خزانة الثياب. حسناً، إن لم تشأ الجلوس عابسة في جناح الضيوف هذا حتى صباح الغد، ليس أمامها سوى خيار واحد. ستنزل إلى المسبح حسب اقتراح ماكس، وتتصرف بمثل هدوء واتزان أي «ملكة ثلج».

ستتصرف معه بشكل احتقار، أومأت بذلك مصممة وهي تتفحص الملابس البديعة أمامها، هكذا ستكون. إنه بالغ الزهو بنفسه، واللعنة عليها إذا كانت ستسمح لنفسها بأن تكون رقماً آخر في قائمة غزواته النسائية.

أخذت تستعرض ثياب السباحة حتى وقع خيارها على ثوب مؤلف من قطعة واحدة ذي لون يتدرج من الرمادي حتى البنفسجي، فإذا ناسبها فستشعر، دون شك، بأنها أقل انكشافاً للنظر. وهكذا أسرعت بخلع ثيابها.

شعرت بشيء من التردد بالنسبة إلى ملابس السباحة عندما أخذت تنظر إلى نفسها في المرآة بعد ذلك بلحظات. كان الثوب مثيراً للمشاعر دون شك، فهو يظهرها نحيلة.

تملكها شيء من السرور رغم هذه الظروف، ولكن فكرة عرض جسمها أمام ماكس أثبطت عزيمتها.

تأملت نفسها بصمتٍ عدة لحظات. كان يرافق ثوب السباحة قميص فضفاض من الحرير الشفاف، وضعته ونزلت إلى الردهة.

أعدت نفسها لمواجهة نظراته.. رأت عينيه تستقران على وجهها بحدة وهو يقف لاستقبالها، لم يكن يبتسم. وقال بصوت منخفض:

ـ تبدين رائعة، ما عدا...

ومد يده يفك شعرها من المشابك متجاهلاً احتجاجها:

ـ هذا أفضل.

كان في لهجته قدر كبير من الاستحسان عندما استرسل شعرها الكثيف على كتفيها. أضاف بهدوء وهو يديرها لتواجهه:

ـ اتركيه دائماً بهذا الشكل.. سبق أن أخبرتك بهذا.

ثم أمسك بذراعها يقودها إلى باب غرفة الجلوس المفتوح، وشعرت كوري بطعنة ألم، رغم أنها لم تشك لحظة في أن هذه خطة اعتاد استعمالها مع نسائه مرات كثيرة في الماضي. لكنها ليست واحدة منهن، فهي سكرتيرته، وهذا كل شيء. وعليها أن تضع دوماً هذه الحقيقة نصب عينيها.

كانا في منتصف الطريق في وسط الفناء عندما توقف ماكس، ليأخذها بين ذراعيه وهو يقول بلهجة تجمع بين التأنيب وخيبة الأمل:

ـ إلى متى تبقين بهذه البرودة كوري؟ لم أتصورك فاشلة مسكينة.

كانت تعلم بالضبط كيف كان يتصورها! لكن الذي كان يبقيها هادئة ليس الرغبة في العبوس، بل كان هو، ماكس هانتر.. رغم أنها كانت تفضل الموت على أن تعترف بالمشاعر التي تتسرب إلى كيانها.

ـ الخطف جريمة أمام القانون.

قالت ذلك وهي ترتجف. كان طوله الفارع يجعلها تشعر بالضآلة والهشاشة والأنوثة، ولم تكن هذه أحاسيس غير سارة، وكذلك إحساسها بذراعيه الفولاذيتين حولها.

قال برقة: «إذن ستشكينني إلى الشرطة غداً؟»

كانت تسمع دقات قلبه بوضوح.

ـ «إنما الآن...» ونظر إليها ببرودة وعيناه تسرحان فوق وجهها الجميل المتألق وشعرها البني الأحمر التموجات. «الآن ستقبلين فكرة أن هذا العمل قد تم إنجازه والفتى العاشق سيعود إلى بيته وإلى زوجة المستقبل المخلصة شاعراً بالخيبة. أليس كذلك؟»

الفتى العاشق؟ لقد نسيت قيثبان كليًا لذا بقيت لحظة حتى فهمت ما يتحدث عنه عندئذ شعرت بالذنب لانفصالها الكلي عن قيثبان ومشاكله، ما جعل صوتها متوتراً وهي تقول:

ـ ما الذي يمنحك الحق بالتدخل بحياة الناس؟

ـ لا شيء ولا أحد (يمنحني) شيئاً، يا كوري. بل أنا آخذ ما أريد.

ورفع حاجبيه يغيظها، ساخراً من استيائها.

عبست وقدحت عيناها شرراً، وتحفزت للكلام، لكنه منعها من ذلك بابتسامة عريضة ومدّ يده يأخذها بين ذراعيه، قائلاً:

ـ تعالي، أيتها العنيدة. غطسة جيدة في البركة كفيلة بأن تزيل من جبينك هذا التقطيب وتهدئ من أعصابك.

ـ إياك، يا ماكس، إياك أن تلقي بي في البركة!

أخذت تقاومه بحرارة، لكنها كانت أشبه بذبابة وقعت في بيت عنكبوت.

ـ أيمكنك السباحة؟

عندما سألها كانا قد وصلا الى حافة البركة.. فكرت لحظة أن تكذب عليه، لكن الوقت كان قد فات بعدما رأى الحقيقة في عينيها. وفي اللحظة التالية وجدت نفسها تطير في الهواء نحو أعماق المياه الباردة.

عندما صعدت إلى سطح المياه، كان ماكس يشق عباب المياه بجانبها وعلى وجهه تلك الابتسامة العريضة التي تظهره أشبه بصبي كبير. وهذا ما جعلها تقول بصوت ضعيف:

ـ يا لك من تيس! عملك كان كريهاً حقاً، يا لك من تيس.

رفع إصبعه يحذرها وعيناه تضحكان:

ـ حذار، فأنت ضعيفة للغاية هنا.

إنها ضعيفة في كل مكان هو بقربها فيه.. فكرت في ذلك وسيل من الحب يغرق كيانها، ويجعلها تتمنى، من الأعماق، لو أن الأمور مختلفة. لكنها لم تكن كذلك ولن تكون.

قالت وهي تحاول خلع القميص الذي ترتديه فوق ثوب السباحة:

ـ أيمكنني، على الأقل، أن أضع هذا جانباً؟

ضاقت عيناه وهو يراها تسبح بضربات قوية ثابتة نحو جانب البركة وتلقي بالقميص إلى الأرض المرصوفة بالقرميد. ثم قال لها وهي تسبح عائدة:

ـ أنت سابحة ماهرة، أنت تسبحين كالرجال.

سألته ساخرة: «هل من المفروض أن يكون هذا إطراءً؟ بإمكان النساء إذا سنحت لهن الفرصة أن يقمن بأكثر الأشياء بنفس كفاءة الرجال إن لم يكن أكثر».

وابتسمت له بوقاحة فبادلها الابتسام، ثم قال لاوياً شفتيه:

ـ أكثر معارفي من النساء لا يزعجن أنفسهن بتعلم السباحة لخوفهن من إفساد زينتهن وطراز شعورهن.

ـ ماكس، سبق أن أخبرتك أنك تخلط بين أنواع النساء.

كانت هذه فرصة جيدة سنحت لها لم تشأ أن تغفلها. ولم تنتظر الجواب وهي تستدير بحركة رشيقة، ثم تشق عباب المياه بضرباتها القوية نحو وسط البركة الفسيحة.

لحق بها، ثم سألها: «أين تعلمت السباحة بهذا الشكل؟ لم أعرفك امرأة رياضية».

ـ والدي سباح ماهر وأمي أيضاً، لقد تلقينا نحن الثلاثة، دروساً في الغطس منذ سنوات. وعندما تتدرب في مياه شهر تشرين الثاني الباردة، وتخلع القناع عن وجهك في عمق عشرة أمتار تحت المياه، وتشعر بما

يشبه طناً من الثلج يلطمك على وجهك، عند ذلك يبدو كل شيء آخر يسيراً. تابعنا، أنا وأبي، التدريب، لكن أمي وجدت أنها نالت ما يكفي.

بدت عليه الدهشة البالغة، بدا له ذلك رائعاً أسطورياً. سألها باهتمام:

ـ هل سبحت خارج البلاد؟ هل غطست في مياه دافئة؟

ـ مرات قليلة في العطلات، ومع ذلك كانت المياه أدفأ بعدة درجات. كان الغطس ومشاهدة مختلف أنواع الحياة البحرية، شيئاً رائعاً. في أسفل البحار، عالم مختلف كلياً.

اتجهت نحو جدار البركة حيث وقفت مستمتعة بهذه المياه النظيفة الصافية على جلدها الدافىء، لحق بها يقول:

ـ المياه حياة حقيقية.

كانت عيناه دافئتين وصوته أكثر دفئاً. ولم يعجب كوري تأثير ذلك على قلبها، يا لظرفه وجاذبيته! حذرت نفسها بحزم عندما أخذ جرس صغير يقرع في ذهنها محذراً. وفي الواقع، ماكس هانتر يملك كل شيء.

سألها: «يبدو أن علاقتك بوالديك جيدة للغاية».

ـ إنهما رائعان.

لم تشأ أن تتحدث معه عن والديها. في الواقع أنه كلما كانت معرفته بحياتها الخاصة قليلة، كلما كان ذلك أفضل. فهي تعلم أن أقل شيء عن حياتها الشخصية يختزنه في كمبيوتر عقله حيث يحلله لمنفعته الخاصة، ومن يعلم متى وكيف يستعمله؟

أومأ ببطء، وقطرات الماء تتحرك على بشرته السمراء كحبيبات الماس. ثم قال بهدوء، بلهجة لا أثر للسخرية فيها:

ـ أن ينشأ الإنسان على الحب، نعمة كبرى.. كان أبي يحبني، لكنه كان مشغولاً جداً عنّي، وعندما سمح لنا الحظ بأن نعرف بعضنا البعض، بعد انتهائي من دراستي الجامعية، كان الوقت قد فات.

ثم، وكأنه ندم على انفتاحه البسيط هذا، تغيرت ملامحه وعاد يقول يغيظها مازحاً:

ـ سأسابقك إذا كنت تظنين نفسك كفؤ لذلك، فما أنت سوى امرأة.

أجابت تتحداه على الفور:

ـ ماذا؟ يمكنني أن أهزمك في السباحة بيد واحدة بينما الأخرى مربوطة وراء ظهري.

لكنها لم تفعل، وكذلك ماكس، وعندما تابعا السباحة عدة أشواط، الرأس بجانب الرأس، شعرت كوري بالتعب، أما ماكس فكان، كما يبدو، قادراً على متابعة السباحة إلى الأبد. وفيما استمر هو في شق عباب المياه الزرقاء الصافية، تركت هي المياه لتجلس على حافة البركة وهي تنظر إلى ماكس بحسرة.

منذ تعرفت إليه، لم تعد هي نفسها، وكان هذا مخيفاً لكنه حقيقة واقعة. لم تعد تستطيع أن تتصور عالماً لا تراه فيه وتشعر به فيه بقربها، وكان هذا مخيفاً أكثر، وما كانت تشعر به نحو ڤيڤيان لم يكن يحتمل المقارنة بهذه المشاعر العنيفة المدمّرة البالغة الخطورة.

ـ والآن، لا بد لنا من شيء نشربه.

قال ذلك وهو يخرج من المياه، متهالكاً بجانبها، ثم عاد فوقف بحركة واحدة مادّاً يده إليها وهو يراها ما تزال جالسة على حافة البركة. لقد لبست القميص فوق ثوب السباحة أثناء جلوسها والآن سارعت تضم أطرافه معاً، ثم تقفل زرّين أو ثلاثة قبل أن تمسك بيده وتنهض واقفة.

نظر إليها بإمعان: «لا فائدة، يا كوري».

ـ ماذا؟

أجاب برقة:

ـ أعني محاولتك ستر نفسك.. يمكنك الالتحاف بالسواد من الرأس إلى القدم، ومع ذلك سأظل قادراً على رؤية هذا الجمال الهاجع.

هتفت بذعر: «ماكس.. لا تفكر في ذلك».

أجاب وهو يحدق إلى وجهها بصوت غاضب:

ـ لِمَ لا؟ أنا أريدك، وأنت تعلمين هذا.. تباً لك! وأنت أيضاً

تريدينني وإن أنكرت.. في الأسابيع الماضية كاد ذلك يقتلني ببطء.. فأنت تعملين معي في نفس المكتب حيث أراك جالسة إلى مكتبك، مخبئة شعرك في طراز الكعكة هذا السخيف.

قالت بلهجة متوترة: «هذه مجرد شهوة بسيطة».

قال غاضباً: «قد تكون شهوة مجردة، لكنها ليست بسيطة».

قالت وهي تحاول إخفاء الرجفة التي تملكتها:

ـ لا أحب العلاقات الرخيصة، ماكس.. وقد سبق أن أوضحت هذا. وأنت أخبرتني بنفسك أنك لا تريد سوى هذا، فلماذا تتحدث في هذا الأمر؟

ـ سبب ذلك كما سبق أن أخبرتك، هو أنني أحب النساء وهن يحببنني، إنما دون أن يحلمن بالسعادة الأبدية.

نظرت إليه رافعة الرأس وشفتاها ترتجفان:

ـ وهذا ما أعنيه، بالعلاقات الرخيصة.

جذبها إليه بخشونة: «يا لجهنم! أنت من العناد بحيث كان ينبغي أن تولدي رجلاً».

لم تستطع المقاومة، وعندما تراخت بين ذراعيه وهي تشهق، شعرت بجسمه يتصلب. استمر في احتضانها عدة لحظات دون أن يتكلم، ثم قال دون أن يتركها ووجهها مدفون في كتفه:

ـ لماذا أنت لست صلبة خشنة كالأخريات؟ لماذا تمزقين مشاعري؟ أنت في طعامي ومنامي وأنفاسي وعملي...

كان هذا اعترافاً منه غير متوقع وقد أصابتها كلماته هذه بالدوار.. والتصاقه بها كان أشبه بالزوبعة الهوجاء التي تكتسح كل ما تصادفه في مدارها. ولكن إذا هي خضعت له.. وإذا تركت هذه الزوبعة التي هي ماكس هانتر تمتصها في دورانها، ستفقد كل القيم الأخلاقية التي تكوّن حقيقتها وكيانها.

تململت تريد التخلص منه، فقال برقة:

www.elromancia.com

ـ لا أستطيع منع نفسي من ذلك، يا كوري. الرغبة فيك تتملكين طوال الوقت، أنا أتألم بسببك والتفكير في ذلك الرجل عديم الإحساس الذي لا يستحقك. . . .

رفعت رأسها غاضبة:

ـ أنعني ڤيڤيان؟ كيف تصفه بعدم الإحساس بينما أنت أسوأ رجل في العالم في هذا المجال؟ كما أنك لا تعرف ڤيڤيان على كل حال.

قالت ذلك وهي تفكر في عذابها الدائم ولياليها التي لا تكاد تعرف فيها النوم وذلك منذ تعرفت إلى هذا الرجل.

قال: «ليس من الضروري أن أعرفه».

وعندما فتحت فمها لترد عليه، أطبق يعانقها عناقاً أسكتها وجعلها تتراخى بين ذراعيه.

ـ أرأيت؟ إنك ترغبين فيّ.

انتزعت نفسها منه وابتعدت عنه وقد التهب وجهها. إنه دوماً يثبت كلامه مظهراً أنه على صواب.

ـ هذا غير صحيح.

قالت ذلك همساً، لكنه سمعه فلوى شفتيه وقال ساخراً من كذبها الصريح هذا.

ـ بل هو صحيح، وستخبريني بذلك عندما تصبحين على استعداد. ويمكنني الانتظار إلى ذلك الحين، يا كوري. فأنا لا آخذ امرأة لا تمنحني نفسها من كل قلبها ووجدانها، ولا أنوي البدء بذلك انطلاقاً منك.

ارتجفت في أعماقها. . أرادت أن ترد عليه بجواب ذكي يثبت له أنها على قدم المساواة مع نسائه اللاتي عرفهن حنكة حتى إن لم تماثلهن في آرائهن في الحب والحياة، لكنها لم تستطع. فلو تكلمت في تلك اللحظة لانفجرت باكية، فهي تحبه إلى حد جعل عقلها يتشتت حيرة وألماً.

ـ تعالي.

وأمسك بذراعها يقودها، إلى حيث كانت موائد صغيرة منتشرة حول

بركة السباحة في مكان يصل إليه الظل. وكان هذا المنظر الشاعري واقعاً في نصف دائرة من مساكب أزهار يعبق بالشذا العطر. .

ثمة كرسيان مريحان حول مائدة مستطيلة قامت فوقها أنواع المرطبات المثلوجة والكؤوس البلورية وإناء كبير يحتوي على ثمار الفريز، وعدد من الأطباق الصغيرة التي تحتوي على القشدة. كل شيء كان رائعاً. . رائعاً جداً. . إنه يعرف كيف يفكر في كل شيء.

نظرت إلى كل هذه الاستعدادات، ساخرة. يا له من أستاذ في الإغراء! ولكن في هذه المرة لن يكون من وراء كل ترتيباته الكاملة جدوى.

يظن ماكس أن شعورها نحوه هو مجرد انجذاب. . وتعليقاته السابقة أوضحت أنه غير واثق مما إذا كان يعجبها كثيراً. . كما أنه يظنها اعتادت أن تنام مع ڤيڤيان وربما مع غيره من الأصدقاء، في الماضي. ولهذا يظن أن بعض العبث معه لا يضر أحداً. لكنها ستتضرر من ذلك. . . جلست تراقبه وهو يستلقي على الكرسي الآخر. . . لو كان شعورها نحوه هو مجرد انجذاب كما يظن، لهان الأمر، لكن حبها له بهذا الشكل سيدمّرها عندما يتملكه الملل منها، وهي ليست من القوة بحيث تحتمل هذا. . .

نعم هي تريد أن تمنحه كيانها بأجمعه. . روحاً ونفساً وجسداً، أن تتوحد معه، ترزق أولاداً منه، تنشئ أسرة وبيتاً، بينما هو لا يملك ولو فكرة عابرة عن كل هذا، ولو قالت له ذلك لانفجر ضاحكاً منها.

قال بابتسامة ساخرة، رأتها مغرية للغاية:

ـ آه، لا، يا كوري. لن أسمح لك بالهرب مني بهذا الشكل، أريد أن أعلمك كيف تعيشين.

أجابت بسرعة: «أنا أعرف كيف أعيش، وأنا أستمتع بحياتي».

ـ لا، هذا غير صحيح. ولكنك ستتعلمين.

دفعها هذا إلى القول:

ـ صحّح ما أقول، إذا كنت مخطئة! أنت قلت مرة إن علاقة مع

سكرتيرتك لن تكون أكثر من شيء مزعج في أحسن الأحوال، وفي أسوأها، خطرة، أليس كذلك؟

ألقت عليه هذا السؤال بعذوبة، فهي لم تنس قوله هذا في يومها الأول عنده، ولا مبلغ الغضب الذي جعلها تشعر به يومذاك.

أومأ برأسه ببطء، وعيناه تبتسمان لها:

ـ أنت الاستثناء الذي يثبت القاعدة.

عادت تسأله بهدوء دون أن ترد ابتسامته:

ـ وأنت تظن حقاً أن بإمكاننا أن ننشئ علاقة ثم نستمر بالعمل معاً؟

أجاب وهو يتأملها بإمعان:

ـ نعم، ولِمَ لا؟

قالت بنفس الهدوء: «وعندما تنتهي العلاقة؟ ماذا سيحدث؟»

أجاب بهدوء: «نحن شخصان راشدان، فإذا كنا متفقين على ذلك، منذ البداية، فلن تكون هناك مشكلة، كما إنك لست من النوع الذي تتملكه المرارة».

ردّت عليه بحدة: «أنت لا تعرف من أي (نوع) أنا، يا ماكس».

أسرع يقول وقد أدرك غلطته، وهو ينحني ليأخذ يديها بيديه:

ـ قصدت أن أمدحك بهذا فأنت حقاً فتاة رائعة يا كوري.

ثم ترك يديها وأحاط وجهها الغاضب بيديه:

ـ رائعة جذابة دافئة المشاعر.

إذن، هذه طريقته في التصرف مع النساء.. وهذه ناحية منه لم ترها حتى الآن، ولكنها طريقة مدمّرة تماماً، وهو يدرك ذلك بالطبع، يدركه جيداً.

ـ وكنت على صواب عندما قلت إنني نلت ما أستحق بالنسبة إلى هذا.

ووضع إصبعه على أثر الجرح في عنقه:

ـ فأنا دوماً، كما يقول المثل، أحزم أمتعتي دون إزعاج نفسي بفتح اللفائف. بعدما جرى مع لوريل وجدت ذلك أسلم وآمن، فهذه الطريقة لا

تسمح بحدوث أخطاء.

آه، لا. إنها لا تثق به وهو بهذا الشكل، ومتطلبات هذا الطفل الضائع قد تسبب لها الكثير من المشاكل والارتباكات، وتشعر أنه يعلم هذا.

قالت له بصوت متوتر: «أظن أن للمرأة التي ضربتك وسببت لك هذه الإصابة الدور الأكبر في تفكيرك هذا».

أخذ يحدق إليها لحظة، وعندما نظرت إليه بجرأة، ألقى برأسه إلى الخلف وهو ينفجر ضاحكاً. ثم قال بحسرة جعلت حبها له يزداد:

ـ لقد جنيت على نفسي بنفسي، أليس كذلك؟ حسناً، بما إنني لن أغريك باستغلال حنانك الأنثوي، فلنستمتع إذن بجلستنا هذه.. بعض حبات من الفريز، جولة سباحة أخرى، ولا شيء غير ذلك، ما رأيك بهذا؟

ـ لا بأس.

كان هذا اختباراً، وأخذت تنظر إليه بحيرة.

ـ كوري.. أنت فتاة غير عادية..

ومال نحوها يعانقها.. ولكنه توقف فجأة وهو يعقد حاجبيه، ويردّد:

ـ فتاة غير عادية.

أزعجها التعبير الذي بدا على وجهه، فهتفت تقول:

ـ ماكس.. ماذا جرى؟

ـ ماذا جرى؟ وماذا يمكن أن يجري؟ إن بجانبي أجمل امرأة في لندن، وما زال الليل في أوله.

لكن عينيه أصبحتا قاسيتين وتوترت شفتاه.. رأت ذلك فاقتنعت بأن شيئاً حدث.

حدقت إليه لحظة، لكنه تحوّل عنها وملأ صحنين بالفريز. وعندما عاد يستدير إليها، كان وجهه صافياً وملامحه منبسطة، وهذا ما جعلها تحدث نفسها بأن ما رأته على وجهه هو مجرد تخيلات منها.

***

سبحا، وأخذا غفوة خفيفة وأكلا وشربا، ثم عادا فسبحا مرة أخرى

www.elromancia.com

حتى بدّد شفق المغيب حرارة النهار ونشر الظلال في الحديقة التي عبق في جوّها شذا المساء.

وعندما جرّا أقدامهما إلى المنزل، كانت الساعة تجاوزت الثامنة، وطوال الوقت كان ماكس يتصرف بانضباط وحذر لم تفهم كوري سببه، لكن هذا كان شيئاً حسناً. بهذا كانت تحدث نفسها عندما تركها ماكس عند باب جناحها بعدما طلب منها الاستعداد للعشاء بعد ساعة أو نحو ذلك، كان هذا حسناً حقاً. أما الشعور بجرح في كرامتها إلى حد الألم، فقد نشأ نتيجة غبائها الذي يدفعها إلى طلب الكعكة دون أن تأكلها.

دخلت إلى الحمام واستلقت في مياه الحوض الدافئة المعطرة، رافضة التمادي بشعورها الذي كان مجرد أنانية من ناحيتها.. لقد أخبرت ماكس بعدم رغبتها في إنشاء علاقة معه، فقرر في النهاية النزول عند مشيئتها وانتهى الأمر. وإذا كانت تريد التفكير في شيء، فليكن في ڤيڤيان المسكين.. وشعرت بالذنب، فلا شك أنه اتصل بها مئة مرة وهو يتعجب من عدم رفعها السماعة.. سيظن... آه، لن تهتم بظنونه! ولماذا تفكر هي بكل هذا، على كل حال؟

خرجت من الحمام إلى غرفتها، متجهمة الوجه... إن وضعها هنا سخيف. وعلى ماكس أن يجيب عن أسئلة كثيرة، لكن الشخص الملوم حقاً، هو ڤيڤيان توماس، الذي تجرأ على الانسلال إلى لندن ليثبت مما إذا كانت ستقابله بذراعين مفتوحتين، قبل أن يسوّي الأمر مع كارول أولاً؟ فليس ڤيڤيان هو المسكين بل كارول هي المسكينة، كما أنه هو السبب في كل ما حصل لها الآن.

سارت نحو غرفة الاستقبال لتضع شريطاً موسيقياً ورفعت الأنغام بشكل معقول قبل أن تعود إلى غرفتها لتختار ما تلبسه للعشاء.

بعد أن اختارت أقل الأثواب التي وجدتها إغراء، وهي مهمة صعبة بالنسبة إلى ما تحتويه الخزانة من الأثواب المكشوفة المغرية، جففت شعرها ورطبت بشرتها «بالكريم» ووقفت أمام المرآة، ثم عبست وهي

تنظر إلى صورتها الرشيقة القائمة الشعر.

الرجال! كلهم أنانيون مغرورون محتالون قساة القلوب ليس في أذهانهم سوى شيء واحد. ونظرت إلى نفسها وهي ترتدي ملابسها الداخلية وأخذت عيناها تتأملان ساقيها الرشيقتين البديعتي التكوين، وخصرها النحيف وصدرها الممتلىء، ولكنها لم تر جمالاً غير عادي. تنهدت وقلبها يتألم، ثم أغمضت عينيها لحظات وهي تفكر في النساء الأخريات... النساء ذوات الجمال الفائق اللاتي يتهافتن لكي يظهرن بجانب ماكس في المجتمعات.. آه! لن تنجح أبداً في تغيير أفكاره بالنسبة إلى الحب والحياة، فلماذا شعرت اليوم بكل هذا الألم؟ لماذا لم تستطع قبول الأمر الواقع؟

- كوري؟

خيّل إليها في البداية أن كثرة تفكيرها فيه، وشوقها إليه جعلاها تستعيد صدى صوته. تنهدت لضعفها هذا وفكرت في أن هذا هو أول دلائل الجنون.

ثم فتحت عينيها.

لكن الصورة في المرآة تغيرت، . فماكس واقف في عتبة الباب الذي يفصل بين الغرفتين، محدقاً فيها بعينين تلمعان كعيني الهر.

***

٨ ـ قلب يتحطم

عندما قذفت كوري نفسها على السرير تخطف ثوبها لتستر جسمها فهي ترتدي ثيابها الداخلية فقط، كان الشيء الوحيد الذي يتحرك هو فم ماكس.

قالت غاضبة من بين أسنانها المطبقة.

ـ أخرج، هنالك اسم لأمثالك من الرجال.

أجاب وهو يرى غضبها: «ألم تفهميني؟ أخبرتك بأنني قرعت الباب، ولكن ربما لم تسمح لك تلك الموسيقى اللعينة بأن تسمعي. لماذا ترفعين صوت الموسيقى بهذا الشكل؟ لكي توقظي الأموات؟»

ـ طبعاً لم أسمعك.

وحملقت فيه وتابعت قائلة بحدة:

ـ وهذا طبعاً لا يعطيك الحق في الدخول مقتحماً بهذا الشكل. هيا اخرج.

ـ أنا لم أقتحم يا كوري، بل قرعت الباب مرتين، ففتحت الباب.

لم تشعر قط بمثل هذا الارتباك، والهجوم خير وسائل الدفاع، فقالت:

ـ هيا، أسألك للمرة الثالثة.. هل تحب أن تخرج الآن؟

فقال عابساً: «نحن، الإثنان، نعرف ما الذي أحبه».

ـ حذار يا ماكس، إن لمستني...

ـ لا داعي لتحذيري يا كوري، فانا أعرف أن رأيك بي سيء للغاية،

لكنني لست منحطاً إلى الدرجة التي تظنين.. هيا ارتدي فستانك.

قال هذه الكلمات الأخيرة وكأنها تعرض جسدها متعمدة، لقد ألقى كلماته تلك وهو يرتد خارجاً فجنّ جنون كوري بحيث لم تستطع التحكم بنفسها بعد أن تبخّر كل ما تتصف به من حكمة واتزان، بنار غضبها.

ثم ركضت في أثر ماكس كلبوءة هائجة، وكان ماكس الآن في منتصف غرفة الجلوس عندما سمعها تصرخ باسمه، فالتفت دون أن ينطق بكلمة، وعيناه الذهبيتان تنظران إليها باحتقار واضح.

ـ يكفي ما رأيته منك، ومن كل هذا الوضع، بما في ذلك وظيفتك الرائعة.

قال بجمود لا يغتفر: «هل أفهم من هذا أنك تقدمين استقالتك؟»

ـ بل أخبرك بأنني راحلة.

قذفت إليه بهذه الكلمات بتوتر بالغ، إذ لم تعد تستطيع تحمل المزيد.. لم تعد تستطيع ذلك حقاً، يكفي أنها تراه يومياً، وتشتغل معه، تتحدث إليه وتضحك وتتصرف وكأنه لا يعني لها شيئاً. لكنها أصبحت تعرف مشاعره، الآن... لذا أصبح الوضع بينهما صعباً للغاية. يوماً ما ستكشف عن مشاعرها نحوه، وعند ذلك تنهار كل دفاعاتها.

قال ببرودة: «إن بيننا عقداً، لذا لا يمكنك أن ترحلي».

ـ ارفع عليّ قضية، إذن.

قال بحدة: «تتصرفين بسخافة».

صرخت بغضب وهي تضرب الأرض بقدمها غاضبة من هدوئه:

ـ الناس الطبيعيون يصبحون سخفاء أحياناً.. نحن نقوم بأعمال جنونية، نقترف أخطاء لأننا لسنا كاملين. حتى ونقع في غرام من لا يستحق ذلك، أحياناً.

قال بلهجة متوترة: «إذن فأنت تعترفين بأن ڤيڤيان لا يستحق حبك؟»

ڤيڤيان؟ لم تكن تتحدث عن ڤيڤيان. وتملكها اليأس.. ليته يعلم ذلك! ردت عليه بغضب:

ـ لا شأن لقيقيان بما نحن فيه الآن. أنا أقول إن من الطبيعي أن يفقد الإنسان سيطرته على نفسه، أحياناً.. أن يفشل.. أن يصبح إنساناً. لكنك أنت.. أنت من الخوف بحيث لا تجرؤ على وضع إصبع قدمك في مياه الصدق الحقيقي، في المشاعر الخيّرة، أليس كذلك؟ أنت رجل الثلج ببرودته البالغة، وشعارك هو.. أحبيهن واتركهن.. ويا له من جحيم!.

أدركت أنها خرجت عن الحد. عرفت ذلك من شرر الغضب في عينيه، لكن شيئاً تحطم في الدقائق الأخيرة فلم تعد ثمة قوة في الأرض تستطيع إيقافها الآن.

عادت تقول بمرارة: «أنت جبان في أعماقك، يا ماكس هانتر.. إنك تشعر بالرعب من مسؤولية المشاعر، ولهذا اخترت العيش في أعماق المياه المتجمدة.

وصل إليها بخطوتين.. ومضت لحظة، لحظة هائلة، ظنت كوري فيها أنه سيضربها، لكنه، بدلاً من ذلك، جذبها إليه بقوة جعلت رأسها يندفع إلى الخلف.

قال بغضب لم يستطع معه النطق بسهولة:

ـ إذن فأنت تظنينني رجل الثلج، يا كوري! تظنين أن الثلج الذائب يجري في عروقي بدلاً من الدم، أليس كذلك؟ أنت حقاً لا تعرفين أبسط الأشياء عن الرجال، رغم أنه لم يكن عليّ أن أدهش لذلك بعدما رأيت قيقيان.

عندما أخذ يعانقها بعنف ووحشية، أدركت أن عليها مقاومته كمجنونة. ولكن هذا ماكس، وهي تحبه... تحبه أكثر من الحياة نفسها، لم تكن تريد ذلك، لم تكن تريده قط. ولكن كلما زاد ما تعرفه عنه، كلما ازداد حبها له عمقاً. مجنونة، غبية، غير منطقية.. كلها صفات يمكن أن تُقذف بها.. ولكن هذه هي الحقيقة.

لم تعرف متى توقف عناقه عن أن يكون قصاصاً لها، ليتحوّل إلى عاطفة محمومة. لكن الأوان الآن قد فات، على كل حال. كانت تبادله

عناقاً بعناق، وضمة بضمة.. ها هي تنطلق على سجيتها بشكل كان سيصعقها لو كانت قادرة على التفكير في شيء غير هذه الأحاسيس التي غمرت كيانها بهياج عواصف الشتاء.

كان عناقه مخدّراً، حلواً، زادته براءتها تأثيراً.

ارتجفت بين ذراعيه وتاق قلبها الى المزيد وأخذت تسمعه يردد اسمها بشغف بالغ فتنهدت في وجهه:

ـ ماكس، أواه يا ماكس.

لكنه ما لبث أن تصلّب في وقفته وتغيرت لغة الجسد.

ـ كوري، أصغي إليّ، أصغي إلي لحظة.

ـ لا.

وعندما رفع رأسه تأوهت باحتجاج لتغيّر لهجته.

ـ لا تتحدث إليّ الآن..

تمتمت بذلك ثائرة، والأحاسيس التي أثارها في نفسها ما زالت تسيطر عليها. ولأنها بين ذراعي من تحب... أفلتت من بين شفتيها تلك الكلمات التي طال انحباسها في قلبها:

ـ أنا أحبك.. أحبك...

شعرت بردة فعله عندما اعترفت بذلك.. شعرت بها في كل خلية من جسمها رغم أنه لم يتحرك أو يتكلم أو حتى يبدو عليه التنفس. ثم سارع يفك يديها عن كتفيه ببطء، وتراجع خطوة إلى الخلف وقد أظلم وجهه وجمدت ملامحه وتصلب جسده، ونظر إلى وجهها بخشونة، وقال بلهجة متحجرة:

ـ هذا كلام هراء، وأنت تعلمين ذلك، بل أنت تميلين إليّ.

لم تحوّل عينيها عن عينيه. فلديها الآن خياران.. فكرت في ذلك وراحت تعنف نفسها بصمت، تعنف نفسها على جنونها الكلي الذي جعلها تقول ذلك.. يكفي سماحها له بمعانقتها بذاك الشغف.. ولكن أن تكشف عن مشاعرها نحوه هو أسوأ بكثير، أما خياراها الآن فهو إما أن تقول إن

ذلك مجرد تأثير هذا الظرف الذي وجدت نفسها فيه.. وإما أن تقول له الحقيقة رغم ما فيها من مذلة وحطة لكرامتها. وكان التفكير في ذلك مؤلماً للغاية.

أحد هذين الخيارين سيبقيها في حياته، هذا إذا شاءت هي البقاء، أما الآخر فهو، بالتأكيد، سيخرجها من حياته إلى الأبد. فآخر ما يريده ماكس هانتر، سكرتيرة عاشقة تحوم حوله في المكتب أو في أي مكان آخر.

كانت تعلم أي خيار ستتخذه قبل أن تتكلم، فقد كان هو الشيء الوحيد الذي سيبقيها بكامل عقلها.

ـ لا، يا ماكس، إنه ليس هراء، أنا أحبك. لقد أحببتك منذ زمن طويل، رغم رأيي بطريقة حياتك.

حملق فيها وقال بصوت متوتر وكأنما تلقى صفعة منها بدلاً من اعترافها بالحب له:

ـ ولكن ماذا عن ڤيڤيان؟ كيف تقولين إنك تحبينني بينما أنت وهو...؟

قاطعته بجمود:

ـ لا شيء بيننا، أنا وهو.. كما لم يكن هناك شيء قط. فما كنت أشعر به نحوه لم يكن سوى عطف، وربما حباً أخوياً، وهذا كل شيء. لو تزوجته، لكانت غلطة هائلة.

ـ إنه يريدك وأنت تعلمين هذا، وقد تسعدين معه.

هل كان يشجعها على الذهاب إلى ڤيڤيان؟ إن هذا لمنتهى الإذلال لها فها هو الآن ملهوف للخلاص، آه! كم تكرهه! إنها حقاً تكرهه.

رفعت رأسها بكبرياء وقد شحب وجهها:

ـ أخبرتك عن شعوري نحوك. ولكن لا تخف يا ماكس، فأنا أعلم أنك غير قادر على أن تبادلني شعوري هذا، كما أنني لا أريد شيئاً منك.. ظننت فقط أن هذا قد يساعدك على فهم السبب الذي يجعلني أستقيل وأرحل في الحال. لا أستطيع تمثيل دور المرأة المحنكة التي تطلبها،

فهذه ليست شخصيتي. وبصراحة، لا أريد أن أكون من هذا النوع من النساء».

جذب ماكس نفساً عميقاً وبدا على وجهه برودة مخيفة:

ـ هذا جنون.. لا أصدق أن مثل هذا الأمر يحدث.

أزاح عن جبينه خصلة شعر، وكانت حركته تلك دليلاً على أن سيطرته الحديدية على مشاعره كانت مجرد مظهر.. تابع يقول:

ـ تباً لكل هذا، يا كوري. فأنت لم تقولي هذا قط... لم تشيري قط إلى هذا...

ـ ما كنت لأقول هذا أبداً، لو أنك لم تحضرني إلى هنا اليوم.

غالبت دموعها وهي تقول ذلك. لقد صممت على ألا تبكي فتضيف على احتقاره لها احتقاراً.

لن يلومها لإشراكه في هذا الموقف التعس.. ماكس هو الذي كان مصمماً على الحصول على ما يريد، كالعادة. حسناً، لقد حصل ماكس هذه المرة على أكثر بقليل مما كان ينتظر.

أخذت تفكر في ذلك بتهكم مرّ بعث في أعضائها المرتجفة شيئاً من القوة التي كانت ضرورية. ورفعت رأسها كهرة غاضبة، محاولة أن تمنع نفسها من الانهيار قبل أن يغادر المكان.

قالت: «والآن.. هل تطلب لي تاكسي، من فضلك؟»

كانت تتحدث حين سمعت صوت سيارة تقف أمام المنزل، ثم أصواتاً مرتفعة تبعها رنين جرس الباب، آه، لا!.. لا تريد زائرين.. خصوصاً الآن.. وتملكها اليأس.

ـ كوري..

لم تر ماكس من قبل يتعثر في الكلام، لكنها تراه الآن وهو يقول متابعاً:

ـ هذا ما جئت لأقوله لك..

سكت لحظة ثم عاد يقول بعد أن عاد الجرس إلى الرنين:

ـ كنت دعوت بعض الأصدقاء إلى السهرة.. فلأنني وعدتك بأن لا أستسلم إلى أيّ من المشاعر أو الدوافع، دعوت بعض الأصدقاء الى السهرة لحفلة نقيمها هي ما نحتاجه، نحن الإثنين، لإبعاد الوجوم الذي يسيطر علينا.

عمّ نفسها اليأس، لكنها قالت بهدوء:

ـ فهمت. فكرة الحفلة جيدة جداً بالنسبة إليّ يا ماكس، سأستعد ثم أنزل إليكم.

لن تدع اليأس ينال منها، بل ستواجه الموقف.

نظر ماكس إليها، فبادلته تحديقه هذا، راجية بلهفة ألا يلاحظ العذاب الذي أشعرها بالتضاؤل إلى حد العدم، ثم أومأ فجأة عندما تعالى رنين جرس الباب للمرة الثالثة، وبحركة سريعة، ارتد خارجاً من الغرفة.

تهالكت على السجادة في اللحظة التي انغلق فيها الباب خلفه، فقد رفضت ساقاها حملها أكثر من ذلك، ثم أخذت تنظر إلى الأمام بعينين لا تريان، محاولة أن تستجمع أفكارها في تلك الفوضى التي يسبح فيها عقلها.

لم يأت إلى غرفتها هذا المساء إلا ليخبرها بأن ذلك العشاء المرفه الشاعري لشخصين، لن يحدث. فقد دعا عدداً، يعلم الله مقداره، من أصدقائه لكي ينضموا إليهما.

أواه.. أخذت تهتز أماماً وخلفاً وقد تملكها ألم مبرّح وعذاب لا يوصف، وحينذاك سمحت له.. وفوق هذا أضافت إلى هذه المسرحية المشؤومة قولها له إنها تحبه..

عندما كان معها، تمنت لو تبكي، لكن عينيها الآن أصبحتا جافتين فاليأس المدمّر الذي يسحق روحها كان أشد عنفاً من أن يسمح للدمع بالانهمار.

فكرت بمرارة كيف ستتمكن من اجتياز محنة هذه السهرة؟ وخطر في بالها، لحظة... لحظة واحدة، أن تتسلل من المنزل هاربة، فمن الواضح

أن البوابة الآن مفتوحة.. وبهذا لن تجد مشكلة في الهرب.

لكن طبعها الناري الملتهب الذي ورثته عن أمها الصهباء إضافة إلى روح القتال التي نفخها أبوها فيها منذ كانت طفلة تحبو، تحرك الآن في داخلها. لا لن تهرب كجرو مذعور، مهما يكن، وهذا المساء ستريه كل ما يحبه في النساء من حنكة وسيطرة على النفس. وبعد ذلك، مع حلول الصباح؛ ستخرج من منزله ومن حياته إلى الأبد.

قامت للحظات بعدة تدريبات لتنظيم أنفاسها، وتهدئة خفقان قلبها. ثم نهضت وهي تهتز، وعادت إلى غرفتها، ونظرت إلى الفستان الذي سبق أن وضعته بسرعة على جسدها. لا.. لا.. هذا لن ينفع الآن. لقد اختارت هذا الثوب بغرض إبعاد الذئب عنها، لكن الآن تغير كل شيء. عندما تخرج من حياته سيكون خروجها عنيفاً مدوّياً وليس مذلاً باكياً!

ألقت نظرة على محتويات خزانة الثياب، فاختارت الثوب الذي سترتديه. وهو ثوب رأته من قبل، وكانت يدها قد مرت على حريره القرمزي فتعجبت من تلك المرأة التي ستجرؤ على ارتداء مثل هذا الثوب الفاضح المثير. كما لاحظت وجود حذاء من نفس قماش الثوب.. وكان عالي الكعب ذا أربطة. أنتعلته بلهفة، فإذا هو مطابق لقياس قدميها، وكان هذا بشيراً لها بالنجاح. أومأت عابسة لهذه الفكرة، فملابسها هذه ستجعل عيني ماكس تبرزان من محجريهما.

الضعف ممنوع الآن، المسموح فقط هو تمالك النفس فبذلك تستطيع أن تثبت لماكس هانتر أنها تضاهي إغراءً وإثارة، تلك العابثات اللاتي يركض معهن من مكان لآخر.

سرحت شعرها بحيث جعلته متموجاً منسدلاً على كتفيها. لجأت أخيراً إلى مواد الزينة التي تأخذ بالألباب. وضعت الماسكارا وصبغت شفتيها بعناية تامة. وعندما ارتدت الثوب والحذاء، ثم وقفت أمام المرآة، لم تكد تصدق أن الفتاة التي تعكسها المرآة هي صورتها. فالثوب الرائع كان قادراً أن يدير أعناق الرجال، وماكس كان رجلاً. ولن يصدق الناظر

إليها أنها تحمل خلف فتحة ثوبها هذا، قلباً محطماً.

***

عندما دخلت كوري إلى غرفة الاستقبال، بعد ذلك بدقائق، أسرع ماكس إليها ولمّا التفتت إليه رأت بريق الرغبة في عينيه اللتين ضاقتا حتى تحولتا إلى شقين ينبعث منهما ضوء ذهبي قبل أن تتحول ملامحه إلى الجمود.

قال برقة: «تبدين رائعة».

لكنها لمست في صوته رغبة لم يستطع إخفاءها. فأجابت ببرودة:

ـ شكراً، ماكس. أنت أيضاً تبدو حسن المظهر.

ثم أرغمت نفسها على النظر حولها.

أخذت تفكر بلهفة.. حسن المظهر؟ إن مظهره يجعل النساء يقتلن أنفسهن في سبيله. لا بد أنه كان على وشك تغيير ملابسه عندما صعد إلى غرفتها حينذاك، لأنه يرتدي الآن بذلة العشاء، فبدا فيها من الجاذبية بحيث شعرت بالضعف في ركبتيها.

تملكتها الدهشة وهي ترى أن في المنزل حوالي ثلاثين ضيفاً هذا عدا الذين يتوافدون في الردهة.

كان عليها أن تعرف كيف يعيش الأثرياء... رأت الآن الندل يتخللون بين الجموع. وفي الحديقة، خلف باب الشرفة المفتوح، كان هناك فرقة موسيقية صغيرة، ولا شك أن هناك جيشاً من متعهدي الأطعمة أيضاً. لقد دفع بسخاء لكي تسير حياته على عجلات سريعة، وهذا ما حصل عليه. إنه ليس بحاجة إليها.. إنه ليس بحاجة إلى أحد..

مرّت الشقراء الطويلة الشهوانية الشكل وقد تعلقت بذراع رجل آخر، ولكن هذا لم يمنع عينيها من أن تلتهما ماكس:

ـ لم أرك منذ وقت طويل، عزيزي.

أجاب ماكس مقلباً شفتيه:

ـ ثلاثة أسابيع بالضبط، يا أدريانا.. كنت أنت وفرانك في حفلة

تشارلز أليس كذلك؟.

صافح الرجل الآخر أثناء كلامه، ثم جذب كوري إلى جانبه وهو يقول:

ـ أقدم إليكما كوري ماسترز، كوري أقدم لك أدريانا وفرانك.

بدت على شفتي أدريانا شبه ابتسامة، لكن عينيها أخذتا تتأملان كوري بنظرات حادة.

ـ أحقاً؟

وقالت رافعة حاجبيها:

ـ من أي مقاطعة أنت؟

ـ من يوركشاير.

أجابت بذلك بأدب في الوقت الذي تحرك فيه ماكس فجأة وهو يقول: «والآن يا كوري هنالك اثنان من أصدقائي أريد منك أن تتعرفي إليهما نرجو منكما المعذرة».

تقدم بها إلى الأمام قبل أن تودعهما كوري، لكنها لاحظت النظرة التي بدت في عيني المرأة فلم تستطع منع نفسها من سؤاله عن معنى ذلك، فأجاب باختصار وما زال عابساً:

ـ أدريانا متكبرة من الدرجة الأولى. ارتكب فرانك غلطة بزواجه منها. فهو يحب الحياة العائلية، أما هي فلا.

ـ أنت لا تحبها.

والتفت ينظر إليها باسماً. كيف يمكنها أن تمضي السهرة، إذا هو بقي بجانبها؟ سألت نفسها ذلك بيأس مرّ.

استمر هذا العذاب عدة ساعات. كان يثرثر طوال الوقت وذراعه حول خصرها، وقد رقصا معاً، ولكن لم يأتِ أي منهما على ذكر ما جرى بينهما. كان هادئاً متزناً كعادته، وكانت هي قد صممت على أن تحاول التمثل به لحظة بلحظة أو تموت في هذا السبيل. كانت التجربة فظيعة، ولكنها، بشكل ما... بشكل ما.. نجحت في ذلك.

في الثالثة صباحاً، بدأ الضيوف يغادرون. أما كوري فقد تملكها الارهاق نفساً وجسداً، وشعرت أنها على وشك أن تنام واقفة، وعندما تناقص عدد المدعوين إلى حوالى العشرة، أمر ماكس بأن تقدم القهوة والكرواسان في غرفة الطعام.

قابلت كوري ماكس في القاعة الفسيحة، فقالت له:

ـ هل يمكنني الصعود إلى غرفتي؟ كان اليوم مرهقاً للغاية.

ـ لا بأس.

وأجفلت وهو ينحني ليعانقها بخفة، ثم يقول:

ـ إن علينا أن نتحدث، أليس كذلك؟ لكن ليس الكلام مهماً الآن.

إنها غير مهمة... أومأت برأسها إيجاباً، عند ذلك جاء أحد النذل مسرعاً وأخذ يتحدث إلى ماكس بالفرنسية... نظرت إليه وهو يستمع إلى النادل لحظة، ثم يلتفت إليها قائلاً:

ـ هنالك مشكلة، إذا لم يكن لديك مانع...

ـ لا.. اذهب.

فذهب.

كانت كوري قد اجتازت عدة درجات فقط من السلم المتعرج، عندما سمعت صوتاً يناديها باسمها برقة من خلفها، ولم يكن صوت ماكس.

التفتت فرأت فرانك أسفل السلم وعيناه مشدودتان إليها. لقد تحدثت عدة مرات مع فرانك أثناء السهرة وقد مالت إليه كثيراً، فهو ظريف مخلص ذكي وهو الى ذلك رقيق والرقة أمر لم تلحظها في هؤلاء الجموع.

وقف بجانبها على السلم، فرأته مرتبكاً نوعاً ما، ثم قال بلهجة غريبة:

ـ كوري؟ هل تتحملينني لحظة إذا كنت وقحاً؟

ـ وقحاً؟

وحدّقت في عينيه البنيتين الرقيقتين فتذكّرت أباها.

ثم قال بسرعة:

ـ إنه عن ماكس... هل لي أن أسألك ما إذا كنت تحبينه؟

كانت على وشك أن تراوغ في الجواب، لكنها أدركت أنه ربما أمضى وقتاً يستجمع فيه شجاعته ليقترب منها، وهكذا قالت بعد صمت طويل:

ـ لا بد أن لديك سبباً دفعك إلى إلقاء هذا السؤال يا فرانك؟

أجاب بهدوء: «أنا صديق ماكس وأفكر فيه كثيراً، لكنك أحد أحسن الناس الذين عرفتهم، ولا أريد منك أن تتألمي، يا كوري. فماكس سيدمّرك، أو على الأقل لن تعودي كما كنت. الذنب ليس ذنبه، ولكنه سريع الملل.. عادة يختار النساء اللاتي يعرفن هذه الناحية فيه.. ولا أظنك مثلهن.

ـ لا بأس، فرانك. ليس الأمر كما تظن، صدقني.

التهب وجهه احمراراً حتى شعرت بالأسف عليه.

ـ إنه رجل صلب كوري. صحيح أنه ورث عن أبيه مبلغاً حسناً في البداية، لكن شركته وصلت إلى ما هي عليه الآن باجتهاده. وليس لديه أنصاف الحلول، فهو ماكس.

فقالت بهدوء: ماكس، لقد سبق أن اخبرتك بأنني سكرتيرته فقط. وقد قدمت استقالتي اليوم، حتى إنني لم أعد أعمل عنده.

ـ هل استقلت؟

كان في صوت فرانك راحة حقيقية، وشعرت كوري بأنها غير منزعجة مطلقاً لتدخله هذا.

قال متأملاً: «أعرف ما هو بحاجة إليه لكنه أكثر حماقة من أن يراه، أو أكثر عناداً من أن يعترف به».

ابتسمت، لأنه كان عليها إما ذلك وإما الانفجار بالبكاء... فقد مسّ اهتمام فرانك هذا بها، مشاعرها بشكل لن يعلمه أبداً. ثم تطاولت وقبلته على خده وقالت:

ـ شكراً يا فرانك.. لا أظنني سأراك مرة أخرى، لكن ماكس محظوظ لأن لديه صديقاً مثلك.

سارت إلى غرفة نومها واتجهت إلى المرآة تحدث نفسها:

ـ حسناً، لقد اجتزت المحنة، يا فتاة، وبشكل جيد.

وتهالكت على السجادة بجانب السرير ثم أخذت تبكي وكأن قلبها يتحطم.

***

٩ ـ مفتاح قلبه... ضاع!

بعد ساعتين من النوم القلق غير المريح استيقظت كوري وهي تشعر بأعصابها توشك أن تنهار ولكنها أعدت نفسها لتناول طعام الفطور.

ارتدت الثياب ذاتها التي جاءت بها، لكنها استعارت بعض الثياب الداخلية من خزانة الثياب الضخمة.

وقفت أمام المرآة تنظر إلى نفسها. لم تكن الفتاة التي تحدق إليها الآن من المرآة تشبه تلك الفتاة الرائعة الملتهبة التي كانتها الليلة الماضية. لكن الرغبة في أن تخرج من حياة ماكس مرفوعة الرأس هي التي دفعتها إلى استجماع شتات نفسها ثم الخروج من الغرفة والنزول إلى غرفة الطعام، بعد ذلك بدقائق، رافعة الرأس منتصبة الجسم.

ـ صباح الخير.

وكان هذا الصوت عميقاً هادئاً.

لقد سبقها ماكس إلى مائدة الفطور وها هو مرتد بزة المكتب وشعره الاسود ممشط ووجهه حليق.. بدا لها رائعاً متراخياً كأنما لا شيء يزعجه.

ـ صباح الخير.

حاولت كوري رد تحيته بهدوء وثبات. نظرت إلى ذلك الوجه الوسيم قبل أن تجلس. كان واضحاً أنه عاد إلى نظام حياته المعتاد، هؤلاء هم الرجال أو بالأحرى هذا هو ماكس، أما كيف أحبت مثل هذا الرجل

www.liilromancia.com

المحتال البارد الأعصاب، فهذا ما لا تعرفه.

بعد تحيته تلك، اختفى ماكس خلف صحيفته مرة أخرى، وهذا ما ناسب كوري، ولم يتحرك إلا ليملأ كوبي قهوتهما مرة أخرى ويسأل كوري عما إذا كانت تريد المزيد من الخبز المحمص، أو أي شيء آخر من مدبرة المنزل.

عندما أبعدت كوري صحنها شاكرة، شعرت بأنها أكلت ما يكفي لإقناع أي شخص، بأنها في أحسن حال. عند ذلك وضع الصحيفة جانباً ووجدت نفسها تحدّق مباشرة الى العينين الذهبيتين الهادئتين:

ـ أريد أن أتحدث إليك.

كانت كلمات هادئة ثابتة، وكان ماكس في حالة استرخاء وسيطرة على الأعصاب، وهذا ما أغضبها. لم تستطع أن تحدث حتى خدشاً في ذلك العقل الصخري.

أجابته: «نعم؟»

قالت ذلك بشكل يظهر عدم اهتمامها ومللها، وفي هذه اللحظة تمنت لو تركت شعرها منسدلاً على كتفيها، لكي تلقي برأسها إلى الخلف بشكل أجمل.

قال مؤكداً بهدوء: «لا أريد منك أن تستقيلي، يا كوري».

أخذت تفكر بحقد في أنه طبعاً لا يريد ذلك... لقد اعتاد ماكس أن تسير حياته بسهولة تامة. وإن تركته سكرتيرته فجأة دون من يحل مكانها، فسيحدث خللاً في عمله الذي هو أهم ما عنده.

تابع يقول بنفس الهدوء:

ـ إنني المسؤول عن كل ما حدث.. ما كان لي قط أن أحضرك إلى هنا.. لقد ارتكبت غلطة منافية للأخلاق كلياً.

إنه أكثر من جرذ واحد.

ـ لكنني لا أرى سبباً يمنع أن تعود الأمور كما كانت. فأنت ماهرة

بعملك وأنت لا تعنين ما قلته الليلة الماضية... يا كوري. حقاً لا تعنينه.. فأنت لم تعرفيني بعد. الانتقال إلى مدينة كبيرة، ووظيفة جديدة.. طراز حياة جديد.. كل ذلك جعلك تخطئين في فهم أفكارك ومشاعرك.. في غضون أسابيع قليلة، سوف تضحكين من كل هذه الأشياء».

حسناً، هذا بكفي. يكفي ما لقيته من إذلال الليلة الماضية. لن تجلس الآن لتصغي إلى رأيه وكأنها تلميذة مراهقة مفتونة بمعلمها!

استقامت كوري في جلستها وقالت:

ـ الموضوع غير مفتوح للمناقشة، يا ماكس. أريد منك أن تقبل استقالتي ابتداءً من اليوم. ولكن سأبقى حتى تجد بديلة لي. أعرف مدى حرصك على عملك. سأبقى لأدرّب بديلتي على العمل.

قال بغضب: «ليست مسألة عمل، يا امرأة، فأنا لا أريد أن ترحلي!

قال ذلك محملقاً فيها وكأنها بلهاء.

خفق قلبها، والطريقة التي قال فيها هذه الكلمات وما بدا على ملامحه، كان مشابهاً لما قاله، وهما بجانب البركة، وهو أنها فتاة غير عادية. هل يهتم بأمرها؟ هل بدأ يراها أكثر من مجرد لذة عابرة؟

سألته برقة: «لماذا؟ لماذا لا تريدني أن أرحل؟»

ضاقت عيناه وتوترت شفتاه وهو يقول:

ـ سبق أن أخبرتك أنك بارعة في عملك. ونحن منسجمان كلياً وأنا أحب رؤيتك بقربي.

هل يظن أن هذا كفيل بإقناعها بالبقاء؟ قالت:

ـ وأنا غير مملة؟

فقال بجمود: «وهذا أيضاً».

تباً لك يا ماكس هانتر! نهضت عن الكرسي وملامحها تماثل ملامحه جموداً:

ـ آسفة، هذا لا يكفي. سأرحل بعد أربعة أسابيع من الآن، يا ماكس.

من الأفضل إذن أن تبدأ بالبحث عن بديلة لي. ولك ما تشاء من ساعات العمل يومياً، اتفقنا؟

ـ ألا تريدين أن تبحثي عن وظيفة أخرى؟

ـ إنها مشكلتي أنا وليست مشكلتك.

ـ تريدين أن تسرعي إلى بلدك لتري حبيبك، أليس كذلك؟

ـ ما أفعله أو لا أفعله ليس من شأنك، يا ماكس.

كيف يجرؤ.. كيف يجرؤ على قول هذا؟ كان على وشك الوقوف، فجمد مكانه، وأخذ يتأملها لحظة طويلة قبل أن يستقيم في وقفته، وعندما استمرا يحدّقان في بعضهما، أخذ قلبها يخفق، وأمسكت أنفاسها، ثم ما لبث ماكس أن أومأ وقال بصوت متمهّل هادئ:

ـ أنت على صواب.. حسناً جداً يا كوري، لقد قبلت استقالتك. يمكنك الذهاب إلى وكالات التوظيف التي نتعامل معها والقيام بالإجراءات اللازمة. اختاري الأفضل وأنا أهتم بالمقابلات النهائية.

ونظر في عينيها مرة أخرى، ثم استدار خارجاً.

خرجت من الغرفة شاحبة الوجه مرتجفة. إنه لا يهتم بها، كيف تتصور ذلك لحظة واحدة؟ إنه لن يهتم بها أبداً. آه! قد ينجذب إليها، أو ربما يستمتع برفقتها.. أما قال إنه يحب وجودها بقربه؟ لكن الناس يحبون اقتناء الكلاب والقطط أيضاً، وهذا لا يجعلهم يرغبون في الزواج بها.

إنه يرغب فيها، أو بالأحرى يرغب في جسدها. ولكن بشروطه الخاصة.. وهذه هي نهاية القصة.. نهاية وظيفتها.. وفي هذه اللحظة شعرت بأنها نهاية العالم أيضاً.

***

كانت الأسابيع الأربعة التالية، أشق ما صادفته كوري في حياتها.. لكنها تعلّمت الكثير عن نفسها.

بعد ثلاثة أيام على تقديم استقالتها، اختارت كوري ثلاث متقدمات للمقابلة.. واحدة مذهلة الجمال أشبه بعارضة أزياء، في السادسة

والعشرين من العمر، والثانية شقراء باردة كالثلج بدت وكأن بإمكانها قيادة ماكس هانتر بإصبعها الصغير، أما الثالثة فكانت حسناء ممتلئة الجسم تبدو عليها ملامح الأمومة وهي تقارب الخمسين، وكانت قد تركت العمل بعد تصفية الشركة التي كانت تعمل فيها، لمدة عشرين عاماً.

كم كان فرحها عظيماً عندما اختار ماكس المتقدمة الأخيرة. لكنها سرعان ما حدثت نفسها بأن اختيار ماكس لا يهمها بشيء ما دامت لن تراه أبداً بعد رحيلها..

بعد نوم مرهق، استيقظت صباح السبت وهي تشعر بأنها ستكون أفضل حالاً إذا ما تلقت بعض العناية والمحبة، وفي الساعة التاسعة وضعت في سيارتها الصغيرة حقيبة جاهزة لقضاء ليلة واحدة، ثم سارت متوجهة إلى بيت والديها في مدينتها الصغيرة.

كان والداها رائعين، أبعدا عنها كل الزائرين ودللاها كثيراً. ولكن أثناء تناولهما طعام الغداء، يوم الأحد، نظر أبوها إليها قائلاً:

ـ تذكرت... الآن، إنه كوخ العمة «ملدريد»... سيفيدك كثيراً.

ـ كوخ العمة ملدريد؟

سألته بصبر: «ما شأنه؟»

ـ إنها في رحلة بحرية لمدة ثلاثة أشهر. قالت إن بإمكان أي فرد من أفراد الأسرة أن يستعمل الكوخ لقضاء عطلة أثناء غيابها، وهذا بالضبط ما أنت بحاجة إليه، فأنت بحاجة الى شيء من السكون والراحة وإلى فترة تعيدين فيها شحن طاقاتك.

ـ أبي، لا أظن...

ـ أما قلت إنك بحاجة إلى فترة استراحة قبل أن تبدئي البحث عن عمل جديد؟

أومأت كوري ببطء.

ـ حسناً إذن، سيكون الكوخ بانتظارك عندما تعودين إلى لندن بعد حفلة الزفاف.

فكرت كوري في ذلك، ولكنها لم تحسم أمرها إلا في آخر يوم لها في «شركة هانتر» وكان هو اليوم الذي كانت تخاف منه.

بقي ماكس، أياماً، رجل الثلج ذاك، ما جعل الأمور أسوأ، خصوصاً بسبب وجود برتا كوكس في المكتب، حتى إن المرأة أخذت تنظر إليهما، هما الاثنان، باستغراب بالغ. لكن كوري، حتى الساعة الخامسة من مساء الجمعة، وهو موعد الخروج نهائياً، كانت تظن نفسها اجتازت المحنة بشكل جيد جداً.

ما إن ارتدت معطفها استعداداً للخروج، حتى أطل ماكس برأسه من باب مكتبه، قائلاً:

ـ أريد أن أتحدث إليك قبل ذهابك، يا كوري.

جاء ذلك بشكل مفاجئ، فخفق قلبها وتملكها انفعال شديد.

سحبت نفساً عميقاً راجية ألا يكون التهاب وجهها ظاهراً للعيان، ثم قرعت الباب، قبل أن تفتحه، على وسعه، قائلة بلهجة رسمية:

ـ أتريد التحدث إلي؟

أول ما لاحظته أن رجل الثلج قد اختفى وحل مكانه رجل باسم دافئ النظرات جذاب حلو الابتسامة ذو عينين بلون الذهب السائل، وخفق قلبها.

ـ هل ظننت أنني سأدعك تذهبين بهذا الشكل؟ تعالي واجلسي، كوري.

ـ لا أريد الجلوس.

ولم يكن هذا صحيحاً. فقد تخلخلت ركبتاها، لكنها إذا جلست فهذا يعني أنها وافقت على الاستماع إليه.

ـ أرجوك؟

ونهض واقفاً ثم أمسك بذراعها يقودها نحو مقعد أمام مكتبه.

سكب كوبين من العصير. وسألها:

ـ أتريدين نخباً؟

ـ لأي شيء؟

كانت تتمنى بلهفة أن يصبح المستحيل ممكناً، أن يكون قد اكتشف عدم إمكانه العيش بدونها!

ـ نخبنا، طبعاً. فأنت لم تعودي سكرتيرتي، لم أعد أنا رئيسك، بل نحن فقط شخصان عاديان عليهما أن يعرفا بعضهما بعضاً بشكل أفضل. يمكننا أن نأخذ الأمور بقدر ما تشائين من التمهل.. لا داعي للعجلة... لا يمكنك إنكار التجاذب الذي بيننا يا كوري، ولكنك سترين حقيقته مع مرور الوقت.

قالت بهدوء وقلبها يخفق:

ـ تعني أنني سأكتشف أنني لا أحبك؟ لكن هذا قد لا يحدث يا ماكس. ماذا بعد ذلك؟ ماذا ستقول عند ذاك: آسف يا كوري، لكنني أنذرتك بما ينتظرك؟

قال بخشونة وقد أظلمت عيناه:

ـ ليس الأمر بهذا الشكل.

ـ بل هو بهذا الشكل بالضبط.

مدّ يده يجذبها لتقف ثم يأخذها بين ذراعيه:

ـ كوري، اسمعيني.

لم تتحرك، كما لم تحاول المقاومة.

ـ أريدك.. أرغب فيك إلى أقصى حد. لا يمكنني التفكير في أي شيء آخر، كما أنني أعلم أنك ترغبين في، أنت أيضاً. من الجنون أن نحرم نفسينا.

أرادت أن تبقى جامدة بعيدة المشاعر، بعيدة عن هذه الجاذبية المغناطيسية، ولكن ما إن انحنى يعانقها حتى أخذت ترتجف، كان يحتضنها بشدة منعتها من التنفس. أحرقت حرارة عناقه كل ما لديها من منطق. كانت تحبه.. تحبه من كل قلبها وكيانها، ربما من الأفضل أن تأخذ أي ذكرى يمكنه منحه لها.

أصبح عناقه أكثر شوقاً وكان يضمها بيدين ترتجفان واستجابت مشاعرها له بكل طواعيه، والمشكلة أنها تحتاج اليه.. وانقطعت انفاسها وغرّد الدم في عروقها حباً ولكن كان هناك شيء ما... شيء هو أثر من تعقل نتج عن تعاسة الأسابيع الماضية، هو الذي منعها من الاستسلام نهائياً لرغباته الصامتة.

إنه يقدم إليها علاقة حب محمومة، وليس الحب والالتزام، وقد صمم على ألا تكون مختلفة. كان الباب إلى قلبه موصداً، وهو موصد منذ زمن طويل.. وربما المفتاح قد ضاع إلى الأبد. ولكن من دون قلبه لن تملك شيئاً، لا يعني هذا أنها تريده أن يعلن لها حباً لا يموت أو يطلب الزواج بها. بذلك أخذت تحدث نفسها صامتة، لكنها تريد منه أن ينفتح على ما قد يجدان معاً، وهذا كل شيء. ولكنه لن يفعل هذا.. لن يفعل. وعليها أن تواجه الأمر.. أن تدعه يذهب ثم تتابع هي حياتها.

شعر بعد لحظات بالتغيّر الذي طرأ عليها، رفع رأسه لينظر إلى وجهها الذي شحب كوجوه الأموات. سألها برقة:

ـ كوري، ماذا حدث؟

ـ لا يمكنني أن أكون كما تريدني يا ماكس، وحبي البالغ لك يمنعني من المحاولة. أرجوك، أرجوك، لا تتصل بي مرة أخرى لأنني لن أغيّر رأيي.

كان عليها أن تفعل ذلك، كان عليها أن تجعله واضحاً، فإذا لم تنه هذا الآن، ولم تقطع عليه كل الوسائل فسيستمر في محاولة إغرائها لتستسلم له. ويوماً ما، في لحظة ضعف، قد يحدث هذا..

ـ لا أصدق ذلك.

كان صوته هادئاً لكن فيه نبرة غاضبة أيضاً. وكانت تفهم السبب، فهو معتاد على الحصول على الحلوى وأكلها إلى حد لم يصدّق معه أن ثمة امرأة أبعدت عنه الملعقة.

قالت برقة وهي تتملص من بين ذراعيه:

ـ بل عليك أن تصدّق، لأنني لن أغيّر عقلي.

أطلق سبيلها وأخذ يحدّق إليها بنظرات غريبة. كان فيها الارتباك والضيق والدهشة، ولكن كان في أعماق عينيه شيء آخر لم تفهمه. دس يديه في جيبيه عابساً، ثم سألها ببرودة بعد لحظة طويلة:

ـ أتظنين أن هذا يجعلني أغيّر رأيي؟ لا يمكنك ابتزازي، يا كوري.

ـ ابتزازك؟

حلّ الغضب مكان الألم والعذاب اللذين كانا يمزقانها، ونظرت إليه وعيناها تقدحان شرراً: ابتزازك؟

فقال بتوتر: «نعم، ابتزازي... ماذا تسمين هذا إذن؟ إذا كنت تتمنعين عني لتحصلي على خاتم الزواج...».

ـ هذا يكفي. إنك لا تفهم.. لا تفهم أبداً.

قالت ذلك وهي تستجمع إرادتها كيلا تقفز عليه وتوسعه ضرباً على وجهه الوسيم الذي يشغفها حباً.

ـ ماكس، لن أتزوجك ولو كنت آخر رجل في العالم، نعم أنا أحبك وأظنني سأحبك على الدوام لكنني لن أدعك تدمرني، والزواج بك سيكون كابوساً لأن فيك التواءً وانحرافاً، وذاتك مقفلة، وليس فيك من الرجولة ما يجعلك تخرج إلى الضوء وتأخذ حظك كبقية الناس... أنا لا أحاول ابتزازك، بل أحاول أن أقول لك وداعاً.

واتجهت نحو الباب ثم وقفت عند العتبة وارتدت تواجهه لآخر مرة:

ـ كانت طريقة تربيتك قاسية، وما حدث مع لوريل شيء فظيع، ولكن ذلك حدث منذ سنوات يا ماكس. وإن لم تكن حذراً فستنتهي عجوزاً وحيداً مهجوراً تتملكه المرارة.

كان صوتها الآن خالياً من الغضب لكن ملامحها متجهمة للغاية.

انتظرت كلمة (عودي)، أو إحدى ملاحظاته القاسية التي كان يجيدها، أو هجوماً كلامياً عنيفاً لكنه بقي صامتاً جامداً، والعنف في

نظراته يكشف عن غضبه.

توقعت منه اللحاق بها، فلا يمكن أن ينتهي الأمر بهذا الشكل. حدثت نفسها بذلك وهي ترغم ساقيها على مداومة الحركة، غير واعية إلى ازدحام الأرصفة وهواء شهر آب الخانق. كانت تحبه، كيف سيمكنها تمضية بقية حياتها من دونه؟ إنه يكرهها الآن. لقد رأت ذلك في عينيه الذهبيتين وتوتر شفتيه.

ولكن ربما كانت هذه هي الطريقة الوحيدة لإنهاء هذه العلاقة. ما كان لشيء آخر أن يقنعه بتركها وشأنها... كان يراها تشكل تحدياً له، هذا عدا كبريائه كرجل وذكائه المرهف.

حدثت نفسها وهي تتابع السير.. ستذهب إلى كوخ العمة ملدريد، فهذا سيمنحها، على الأقل، فرصة تستجمع فيها أنفاسها قبل عرس ڤيڤيان وكارول. ثم، بعد ذلك.. بعد ذلك عليها أن تواجه بقية حياتها. أما الآن، فهي لا تستطيع أن تتصور كيف ستتمكن من ذلك.

***

١٠ ـ حب على الطريق

كان ذلك بعد ثلاثة أسابيع، في منتصف شهر أيلول، وكانت كوري أمضت كل ذلك الوقت في كوخ العمة ملدريد الهادئ الوادع.

هربت إلى هناك ليلة غادرت مكتب ماكس، ممزقة القلب، ولم تتحدث إلى احد طوال تلك الفترة. وكان هذا بالضبط ما هي بحاجة إليه.

أمضت أياماً، تجول في الحقول والطرقات والوديان حول كوخ عمتها الصغير، سائرة على ضفاف النهر، تستلقي على الأرض المعشوشبة التي ترصعها الأزهار البرية تأكل التفاح ثم تعود مع المغيب إلى كوخ العمة ملدريد فتتناول العشاء من السلطة والدجاج والخضر التي تجنيها من حديقة عمتها الرائعة.

في البداية، كانت تتقلب في سريرها ليلاً، ثقيلة الرأس جريحة القلب. ولكن، مع مرور الوقت، بدأ سحر المكان يفعل فعله في شفائها، فأخذت تستقبل الأيام كما تأتي، دون أن تفكر كثيراً، أو تتأمل في المستقبل.

صبغت الشمس بشرتها بلون العسل، وعمّقت اللون الأحمر في شعرها الداكن الحريري، كما لطفت من النظرة المعذبة التي كانت في عينيها.

بدأت سكينة النفس تغمر كيانها بعد أيام من ذلك. لم تبدّد الألم والشعور بالضياع، لكنها منحتها القوة للاسترخاء، وسمحت لها بالاستعداد للعودة إلى العالم الحقيقي.

www.elromancia.com

والآن، حلّ ذلك الوقت. غداً عرس ڤيڤيان وكارول، ولن يمكنها التخلف، لقد انتهت عطلتها.

* * *

ـ تبدين رائعة يا كارول، رائعة كلياً...

كانت كوري أنهت لتوّها وضع النقاب على رأس العروس وأخذت تثبت الوردة الكامنة بين أوراقها الخضراء والدانتيل، في مكانها.

ـ شكراً.

بكت العروس من فيض المشاعر.

قالت كارول لكوري:

ـ شكراً لأنك لم تستعيدي ڤيڤيان، يا كوري.

ـ آه، يا كارول.

لم تعلم كوري بأن خطيبة ڤيڤيان عرفت بنيّته قبل الزفاف، فقالت بصوت حازم مخلص:

ـ أظنه محظوظاً جداً بالحصول عليك، وأنا أعني هذا.

فكارول كانت تحب خطيبها وهذا ما أظهرته على الدوام. وهذا سيجعل الزواج ناجحاً.

ألقت كوري على نفسها في المرآة نظرة سطحية. كان الثوب الذي يأخذ شكل الجرس، «بالكشاكش» الدانتيل، والورود، والشرائط، لا يلائمها وكانت هي تعلم ذلك.

لم يكن يهمها أن تبدو سخيفة الشكل نوعاً ما. فهذا يوم كارول التي بدت فيه عروساً متألقة. كانت مستعدة لارتداء أقبح الأزياء بقية حياتها، إذا كان ذلك يجعل ماكس يحبها. كانت تفكر بذلك بغضب وهي تترجل من السيارة إلى الرصيف.

عند ذلك رفعت عينيها ورأت الرجل الأسمر الكبير الجسم واقفاً بجانب الكنيسة، فجمدت في مكانها.

ـ هيا يا عزيزتي، المفروض أن العروس هي التي يتملكها الخوف.

كان المصوّر يقول هذا لكن كوري لم تسمعه.

تمنت كوري لو انشقت الأرض وابتلعتها لأنها كانت تبدو فظيعة.. فظيعة حقاً، والذي لم يكن يهمها، منذ دقيقة، أصبح في هذه اللحظة كل اهتمامها منحصراً فيه.

ـ كوري؟

جاء صوته منخفضاً عميقاً فارتجفت... لقد أحنت رأسها قاصدة المرور بجانب ماكس وبقية الجمع الذين وقفوا بجانب جدار الكنيسة الحجري، لكنها شعرت الآن بيد دافئة على ذراعها فاضطرت إلى رفع عينيها إلى عينيه المنتظرتين.

سألته وهي ترتجف وقلبها يخفق:

ـ ما الذي تفعله هنا؟ ما كان ينبغي لك أن تكون موجوداً.

أجاب برقة: «أنتظر رؤيتك، وطبعاً ينبغي لي أن أكون موجوداً».

ـ ماكس، هذا جنون. لقد قلنا كل ما يجب أن يقال وعملك هذا ليس صواباً.

ـ أعلم ذلك.

تمتم بذلك بهدوء وعيناه تتأملان ثوبها وطرازه، ثم تابع يقول:

ـ أنا أعلم أن هذا جنون وعملي ليس صواباً، فأنت تستحقين من هو أفضل مني بكثير، كنت أبحث عنك طوال الأسابيع الثلاثة الماضية، هل أخبرك أبوك؟ كدت أجن.

ـ «أبي؟» ونظرت إليه وكأنه مجنون.

ـ هل تكلمت مع أبي؟

ـ لم يستطع أن يخبرني بمكانك، ولكنه أنذرني بكلمات قاسية أن أبتعد وأنا لا ألومه، فلو كنت أنت ابنتي لصنعت نفس الشيء بالضبط، لكنني تصفحت ملفك الشخصي ورأيت منى طلبت عطلة أسبوع لأجل هذا الزفاف.. وهكذا، حاولت التحلي بالصبر.

قالت وهي ترتجف:

- ماكس، ليس لدي أقل فكرة عما تتحدث عنه.

علمت أنها ترتجف، لكنها لم تستطع السيطرة على ذلك. تمنت لو يظن، كما يظن الآخرون أن هذا نتيجة توتر أعصاب وصيفة العروس، فعثوره عليها لا يعني شيئاً، لأنها تعرف شعوره نحوها ورأيه بالحب والالتزام وكل شيء. لم يتغير شيء، كل ما في الأمر أن ماكس لم يستطع أن يصدق أنه هذه المرة لم يستطع الحصول على ما يريد.

- كوري، علينا أن نتحدث، ألا ترين هذا؟

- أرجوك يا عزيزتي.

وكان هذا صوت المصوّر الذي كان يركض بسرعة عائداً من باب الكنيسة حيث كانت الوصيفتان الأخريان تقفان منتظرتين، وكان وجهه يتصبب عرقاً وهو يتابع قائلاً:

- ستصل العروس حالاً، وأريد أخذ بعض الصور... ألا يمكنك التحدث مع هذا السيد فيما بعد؟

ارتدّ ماكس إليه بعنف:

- هذا السيد يريد أن يتحدث إليها الآن.

لكن المصور لم يتراجع، فهذا عمله ولن يثنيه عن القيام به حتى هذا الرجل الطويل الضخم..

حملق في ماكس قائلاً بشجاعة:

- ستفسدان الصور.

- اللعنة على الصور.

ولأول مرة يبدو ماكس بشخصية ماكس الحقيقية.

قالت كوري بحدة:

- ماكس، أرجوك. دعني وشأني، هذا عرس كارول وأنت ستفسده. كما أنني لا أريد أن أراك مرة أخرى.

هذا ما قالته شفتاها ولكن قلبها كان يهتف.. أواه يا حبيبي.. يا حبيبي.. يا حبيبي!

أمسك الموجودون بجوارهما أنفاسهم وهو يقول لها برقة وحنان وحزم بالغ:

- بل ستريني، فأنت تحبينني.

حدّقت إلى ذلك الوجه الوسيم الحبيب لحظة طويلة، فأدركت أنها لن تحب بعده أحداً أبداً كما أحبته. ثم قالت بصوت حازم ولكن فيه نبرة جعلت أكثر من امرأة من المستمعات يشعرن بالعطف عليها:

قالت: «ابق بعيداً عني يا ماكس، أنا أعني هذا».

ثم سمحت للمصور الذي كان يرقص من الغيظ، بأن يقودها بعيداً.

كانت طقوس الزواج كابوساً بالنسبة لكوري. وفي نصف الساعة التالية، سألت نفسها مئات المرات عما جعله يحضر اليوم؟ لم تجرؤ على أن تلتفت لترى إن كان ماكس لحق بها إلى الكنيسة. لقد حاولت، حاولت حقاً أن تظهر بعض الغضب الحقيقي لجرأته ووقاحته هذه، لكن الصدمة التي أحستها لرؤيته مرة أخرى، والفرح العنيف الذي شعرت به في اللحظة التي قابلت عيناها عينيه الذهبيتين الرائعتين، كل ذلك وقف في الطريق.

أفزعها هذا، أفزعها أكثر مما كانت تتصور. فلا شيء تغير... العلاقة مع ماكس لا بد أن تكون إما بالغة السموّ، وإما بالغة الانحطاط: نشوةً وسعادة عنيفتين، أو يأساً هائلاً أسود. وعندما تنتهي، أو ينهيها هو، لن تعرف من هي أو كيف تتصرف بحياتها... سيمضغها ثم يلفظها، ليسير بعد ذلك في حياته وكأنما لم يحدث شيء. هذا مستحيل.. مستحيل لأنها لن تعيش أبداً إذا هو تركها.

لكنه اهتم تماماً بالقدوم للبحث عنها.. أخذت هذه الفكرة تتقلب في ذهنها... أغمضت عينيها وهي تضغط كرة الأزهار التي بين يديها بشدة.

فعل هذا لأنه يريدها في فراشه.. أخذت تذكر نفسها بذلك بيأس.

آه، ما كان له أن يحضر هذا اليوم! هذا ليس عدلاً. في الأسابيع الثلاثة الماضية، عندما كانت تسمح لنفسها أحياناً بالانغماس في أحلام اليقظة، فتتصور أنهما سيلتقيان مرة أخرى، كانت دوماً تتصور نفسها غاية في

الأناقة وجمال المظهر وتدفق الأنوثة رقة ودلالاً، وها هي ذي الآن مرتدية ثوباً يظهرها كالجنية، وشعرها مجعد قصير مزيّن بأزهار وردية.. نعم وردية اللون، ووجهها مصبوغ كدمية من الخزف الصيني. شعرت بأنها سخيفة الشكل مضحكة للغاية.

وعندما خرجت العروس، متأبطة ذراع عريسها فيفيان، كانت كوري تسير بشكل آلي. سارت بجانب جون، وصيف العريس، مبتسمة دون أن تنظر يميناً أو شمالاً. وعندما أصبحوا خارج الكنيسة، وغمرتهم شمس أيلول الدافئة، كان عليها أن تقف أمام المصورين حيث التقطت لها مئات الصور، دون أن تسمح لعينيها بأن تبحثا بين المتفرجين.

وعندما انتهى التقاط آخر صورة، وأخذت الجموع تتجه إلى مدخل القاعة تنتظر دخول العروسين، رأت كوري سيارة فيراري حمراء تقف في الناحية البعيدة من المرج المحيط بالكنيسة... سيارة فيراري هنا! هذا النهار! وبجانب الطريق المؤدي إلى القاعة. لا بد أنه هو، لم تكن تدري أين سيارة الرولز، ولكن لا بد أنه ماكس.

عندما اقتربت كوري والوصيفتان الأخريان من السيارة، انفتح بابها على اتساعه ليخرج منها رجل طويل القامة، رياضي الجسم.

ثم قال برقة: «كوري؟ انتظري لحظة».

فقالت كوري متلعثمة:

ـ يجب... يجب أن أذهب إلى هناك، فهم بانتظاري.

قال ببرودة واتزان وهدوء بالغ:

ـ لن أرحل من هنا، ليس الآن.. لن أرحل أبداً وأنا أعني هذا يا كوري.

حدقت إليه عاجزة عن النطق. ففي صوته نبرة.. نبرة حقيقية لم تجرؤ على تصديقها. لكنها أرادت أن تبكي.

أخذ ذراع كوري قائلاً للفتاتين اللتين كان افتتانهما به واضحاً:

ـ سأستعيرها لفترة دقيقتين فقط، اتفقنا؟

ـ لا، يا ماكس.

لكنه تجاهلها وجرّها رغماً عنها بسرعة واتجه بها نحو مقعد خشبي صغير قائم تحت شجرة وارفة، ثم أخذ يتأملها لحظة قبل أن يقول ببطء: «مشاكسة».

ـ من تظن نفسك، على كل حال؟

حاولت أن تكون قوية.. لكنه بدا رائعاً للغاية. فالسترة الجلدية السوداء التي يرتديها تبرز طوله وتضاعف مغناطيسيته السمراء عشرة أضعاف. ولكن ليس هذا ما جعلها تبقى على المقعد عندما جلس بجانبها وأخذ يتكلم. وإنما كان صوته.. النبرة الخفيفة المرتجفة التي كشفت عن التوتر الذي كان يحاول إخفاءه.. وحقيقة أن النظرة التي في عينيه تعكس العذاب الذي كانت تراه في المرآة في الأسابيع الثلاثة الماضية.

ـ أصغي إليّ يا كوري، أرجوك.

كان صوته هادئاً مرتجفاً، وسرعان ما انهار سائر العالم بالنسبة إليها وهو يتابع:

ـ إنني أحبك. كان يجب أن أقول ذلك في أول لحظة رأيتك فيها مرة أخرى. لكنني وجدت صعوبة في ذلك لأنني لم أنطق بتلك الكلمة قط من قبل.

قالت وهي تسوّي الزهرات التي في حجرها:

ـ لا، أنت لا تحبني، تعلم أنك لا تحبني، أرجوك لا تقل هذا.

لم تكن تريد أن تبكي.

قال بعنف:

ـ بل أنا أحبك يا كوري، تباً لذلك. عليك أن تصدقيني... لقد أدركت هذا منذ أسابيع، ولكنني أمضيت الوقت بمحاربة ذلك إنما لم أعد أستطيع محاربته أكثر مما فعلت. أنا أريدك يا كوري. ليس فقط لأجل أسبوع أو شهر أو سنة بل أريدك لبقية حياتي، إلى الأبد.

كل العذاب الذي عانته كان مرتسماً على وجهها الآن وهي تهمس:

ـ لا، عندما أخبرتك بحبي لك، حاولت دفعي للعودة إلى ڤيڤيان. ما تشعر به ليس حباً.

في هذه اللحظة فقط أدركت كم آلمها قوله ذاك.

فقال بآهة عميقة:

ـ ما كنت لأدعك قط تذهبين إليه... في ذاك الوقت كنت أحاول إقناع نفسي بأنك فقط مثل الأخريات... كنت خائفاً، يا كوري. لكنني كنت سأقتله قبل أن أدعه يلمسك. إن ما أشعر به نحوك...

وهز رأسه وهو يجذب نفساً عميقاً مرتجفاً:

ـ هذا الشعور يدمرني.. يهلكني.. لم أتصور قط شعوراً كهذا، وأنا لا أحبه.

قال الجملة الأخيرة بشيء من الارتباك وهذا ما أشعرها بالضعف تقريباً. لكنها لم تصدقه.. لم تجرؤ على تصديقه، إنها تعرفه أثناء العمل.. كثيراً ما رأت ذلك العقل القاسي المناور كيف يوجه من هو أقل منه وأضعف، إلى إرادته.

سألته بصوت مرتجف:

ـ وما أدراك أن ما تشعر به هو الحب؟ أخبرتني بأنك لا تؤمن بالحب. فماذا حدث لتغيّر رأيك؟

فقال برقة: «حدث أن صادفتك. أن عثرت عليك، ثم تركتني، وذلك عندما علمت أنني لا أستطيع العيش من دونك... لا أستطيع يا كوري، أنا أعني هذا. ولكن، كما قلت، هذا يخيفني حتى الموت، فلست شخصاً تَسهل معاشرته، ولا أدري كيف أعالج هذا الأمر.. أنا أعرف ما أشعر به، ولكن البقية... لم يكن عندي قط أحد يخصني لأحبه. فأنا لا أعرف كيف أحب. لكنني أيضاً لا أستطيع العيش بدونك، كانت الأسابيع الثلاثة الماضية جحيماً».

كانت هذه الكلمات آهات من أعماق قلبه.

نظرت في عينيه.. هاتان العينان الذهبيتان اللتان تبدوان أحياناً بالغتي

القسوة والتحدي هما الآن مليئتان باليأس والكآبة، تلمعان بشيء أذاب قلبها. وفجأة، بدا كل شيء سهلاً، لقد جاء لأجلها.. إنه جاء لأجلها.

عاد يقول: «أحبك يا كوري. لا أدري كيف أثبت لك هذا أو أجعلك تفهمين، أريد أن نكبر معاً أنا وأنت، أن يكون لدينا أولاد وكلاب وقطط وكل شيء.. لكن ذلك يبدو لي أشبه بخطوة عملاقة نحو المجهول، اللعنة.. أنا لا أقول هذا بشكل صحيح».

ـ ماكس..

فقاطعها بانفعال:

ـ لا، لا تقولي شيئاً قبل أن تدعيني أقنعك... قلت لي إن زواجك مني سيكون كابوساً بالنسبة إليك، وقد تكونين على حق. ولكن كل ما يمكنني قوله هو أنني أعدك بأن لا أتوقف عن حبك أبداً. هذا أولاً، وهو الوحيد حالياً الذي أعرفه، كما سأكون رجلك المخلص، يا كوري.. المخلص قلباً وروحاً وجسداً وعقلاً.

ـ ماكس..

ـ يمكنك أن تطرديني، لكنني سأظل أعود إليك.

قال ذلك بظرف وتوسل وغضب وعدوانية وهي طريقة لا يحسنها سوى ماكس.

تابع يقول: أرغب في النساء، والحصول عليهن كان سهلاً لكنني أشعر بالخزي وأنا أقول إن ذلك لم يكن يعني لي سوى القليل. أما هذا الحب.. فهو شيء آخر. إنه يمزق النفس ويقطع الأحشاء.. ومع ذلك، فعدم الحصول عليه هو أسوأ وأشدّ إيلاماً.

سألته برقة: «أتظنني لا أعرف هذا؟»

قال بصوت أجش: «عندما غادرت المكتب ذلك اليوم أدركت مبلغ حماقتي... ذهبت إلى شقتك، فلم أجدك، ثم بدأت أتعذب ظاناً أنك عدت إليه، وأنني دفعتك إليه مرة أخرى».

ولم يكشف صوته سوى القليل مما عانى.

ـ ليس بيني وبين ڤيڤيان كلمة (مرة أخرى)...

تعلم كوري أنه يفترض وجود علاقة غرامية بينها وبين ڤيڤيان، وربما مع شبان آخرين أيضاً، وكذلك تعلم أنه كان يحب نساءه المجربات والخبيرات في فنون الغرام. إنما فقط لا تعرف ردة فعله إزاء ما ستخبره به. وهكذا قالت له بسرعة

ـ ماكس، لم تكن لي علاقة شائنة مع ڤيڤيان قط. ولا مع أي رجل آخر.

قال ذاهلاً: «هل هذا صحيح؟»

أذهلته حقاً. رأت ذلك في عينيه.. لكنها رأت أيضاً شيئاً آخر جعل قلبها يخفق بعنف. رأت سروراً وعرفان جميل لا يوصف... عرفت منه أنه أكثر من مسرور لهذا الخبر. وأن من غير المهم.. من غير المهم أن تماثل تلك النسوة المحنكات في خبرتهن. قال وقد توترت ملامحه:

ـ إنك ملكي، يا كوري، جئت إلى هنا لأخبرك بذلك، وأنا أحبك و.. لأسألك الصفح.

كان حريصاً، منذ جلس بقربها، على ألا يلمسها. ولكن عندما سمع صوتاً ينادي اسمها من بعيد، أمسك بوجهها بين يديه، وهو يقول بسرعة:

ـ لا يمكنك أن تقولي لا، يا كوري، أرجوك. امنحيني فرصة أخرى أثبت لك فيها حبي.

لم تكن منتبهة إلى أنها كانت تبكي حتى أخذ يمسح دموعها بإبهامه برقة. عند ذلك ضحكت وهي ترتجف هامسة:

ـ الرئيس دوماً على حق.

حدّق إليها لحظة فرأت في عينيه ظلاً من الشك، وهذا ما جعل حبها له يزداد: كوري؟

ـ أحبك يا ماكس، وسأعلمك كيف تظهر حبك لي ولأولادنا وأولاد أولادنا.

عند ذلك أصبحت بين ذراعيه يعانقها عناقاً حاراً يعتبر فاضحاً لأنه

يجري على مقعد خشبي في حديقة الكنيسة في الساعة الثانية بعد الظهر. لكن كوري لم تهتم لذلك، إنه يحبها. وهو كان يبحث عنها وينتظرها.. أواه.. يا ماكس.

ـ هل ستتزوجينني قريباً؟ قريباً جداً؟

قالت تغيظه مازحة: «هل تخاف أن تغير رأيك إذا لم تسرع بالزواج؟».

ـ آه، كلا.

كانت عيناه تشعان بحب يكفيها بقية حياتها. وتابع يقول:

ـ لكنني أريد أن أبعد عنك بقية الذئاب، فأنت أجمل وأكثر إغراءً من أن لا تلبسي خاتم الخطبة في يدك اليسرى.

جمال وإغراء؟ كان كحل الماسكارا سائلاً على وجنتيها وربما كان أنفها كذلك وردي اللون مثل ثوبها هذا اللعين. وهذه الأزهار وخصلات شعرها التي لا تنفك تتساقط حتى عندما تتكلم... ومع ذلك يراها مغرية جميلة؟ ابتسمت ووجهها يتألق وعيناها تلمعان بشكل جعل قلب ماكس يخفق.

إنه حقاً بمليون رئيس وكزوج سيكون بمليون.

وهذا ما أثبته الأيام.

***